رحمة صخري

اسم الكتاب: رحم صخري
التأليف: يسرا النوبي
نوع العمل: مجموعة قصصية
مراجعة لغوية: سواح للخدمات عبر الإنترنت
إخراج فني: عمرو سالم سواح
رقم الإيداع: 2020/ 8569
الترقيم الدولي: 978-977-835-196-5
الناشر: دار زحمة كُتّاب للنشر والتوزيع
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر
Facebook
Email za7ma-kotab@hotmail.com
Tel 002 01205100596
002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار زحمة كُتّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل
من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

مجموعة قصصية

رحم صخري

عندما تتحدث ظلالنا الرمادية

بقلم

يسرا النوبي

"إلى من تصالحوا مع ظلالهم الرمادية، هنيئًا لكم"

يسرا النوبي

إني أحيا

حقًّا أحيا

وبرغم تخاريفي أحيا

وبكل أكاذيبي أحيا

وبدون طموحاتي أحيا

والناس جميعًا إن كانوا

قد هزموا في الدنيا مثلي

إن كانوا قد كذبوا مثلي

فبأية معجزة ننسى؟

وبأية معجزة نحيا؟

قصيدة

"شرايين تاجية"

العراب " أحمد خالد توفيق"

مُقَدِّمَة

مرحبًا بك صديقى القارئ على متن سفينتي الثانية، دعني أكون مرشدك اليوم الذى سيصطحبك في جولة بين أروقة وممرات السفينة ... رجاءً لا تطلق أحكامًا سابقة، ودع نفسك لي لأنقل لك زمرة مختلفة من المتعة والإثارة والغموض.

هنا في هذا الممر الطويل ستجد العديد من الأبواب المغلقة خلف كل منها قصة من نوع خاص دونت فقط لإمتاعك أولًا ولفك شفراتها ثانيًا، وأعلم أنك فطن وستدركها... قصص من حيوات مختلفة ربما ستشبهك واحدة منها.

سأصطحبك الآن إلى مطعمنا الكبير ... لدينا مائدة عظيمة ممتلئة بما لذ وطاب لتتناول منها ما تشتهي وتراقب عندما تدور الكؤوس. أنصحك بتذوق حساء بنكهتها سيعجبك كثيرًا، ستلمح بجوارك فتاة جميلة رغم امتعاض وجهها تميل على أذنك وتهمس بمجرد شكوى بسيطة عن رسالة للمرحوم على لسان ابنه الصغير مرة والكبيرة مرة أخرى، ليقطع شكواها حضور الملكة حتشبثوت والغراب الأسود على كتفها لتجلس على رأس المائدة وهي تقص عليكم بفخر كيف خرجت من

رحم صخري، ثم تبدأ فى التساؤل حول ولائك وتقول: معنا أم معهم؟ فتجيب بخضوع: معكم. فتذيع للعالم أجمع في بث مباشر سلطتها على الأرض. وفجأة تضرب موجة من أمواج شتاء ديسمبر السفينة فيضطرب الجميع في فزع فتسمع صرخة عامل يخبر الجميع بتوقف المحرك فتصيبهم حالة من الهلع وهم يصرخون ويهرولون لتدرك أن المعرفة عين القبح وينتابك شعور بخيبات الأمل في رحلتك، فتجد نفسك تنشق لنصفين أحدهما مفزوع والآخر لا يعبأ فتعي أنك مزدوج الهوية، ثم تجد نصفك الذى لا يعبأ يلتقط تفاحة تتأرجح على المنضدة ويلتهمها ثم يضع في قبضتك الأخرى بذرة تفاح ويغادر فتجد نفسك بين الافتراض والوجود فيتدفق الأدرينالين في نصفك الهلع وتتسارع نبضاتك فتسمع صرخة مناعة تطلب الرحمة، حينها تلمح بعينك التي لا تبالي قفص عنكبوت لأنثى فتسألها: هل تقبلين بي سجانك؟ فتجيبك على استحياء إنها قطة مغمضة ... وفجأة تجد نفسك قد وصلت لبر الأمان وتنتهي الرحلة.

*****

عندما تدور الكؤوس

قضبت حاجبيها وتشققت جبهتها وهي تنظر للفتاة التي بجوارها نظرة تفصيلية تجمع بين أخمص إصبعها حتى خصيلات شعرها، ربما هو الآخر مزيف!.... كانت تصورها كجهاز أشعة سينية وتتحقق من صحة باقيها.

لا تدري الأخرى سببًا لتغير النظرات منذ أن سردت قصة حادثة سالفة مرت بها، سردتها دون مبالاة بعواقبها.... فما هي سوى حادثة حدثت لها منذ أكثر من أحد عشر عامًا، تذكرتها عندما سمعت قصة مشابهة لها فقصتها على حماتها المستقبلية مسترجعة منها خبراتها السابقة.

ولكن منذ أن قصتها وكل شيء انقلب رأسًا على عقب ولم يعد إلى سابقه... حينها نهضت حماتها وجمعت حقيبتها بسرعة وهي تلقي حجة للمغادرة لا تعي حتى فحواها ولكن لا يهم... فجُلُّ ما يهمها الآن هو حقيقة زوجة ابنها المستقبلية؛ فقالت في ارتباك وذهن مشتتين:

_أنا مضطرة أمشي ضروري علشان عندي مشوار مهم.

ألقتها فجأة وتوجهت نحو الباب لتغادر.

لم تفهم يارا سببا لتغير حماتها فجأة؛ فقد كان حوارهما يسير على نحو جيد.... ما الذي حدث منذ أن سردت لها قصة حادثها القديم؟!

ولكن في الحقيقة التغيير الذي حدث لم يكن مجرد لحظات متوترة وتمر في سلام بل سحبت معها جانبها القادم بأكمله لتلقيه في باحة من الاضطراب.

ندرت بينهما الأحاديث، وأصبحت حماتها تتملص من مكالمتها الهاتفية، حين ترى اسم يارا يضيء على شاشة هاتفها تتجاهله دون أن تجيب، أما ابنها هيثم فأصبح منذ ذلك اليوم كالقنبلة الموقوتة ينفجر في أي لحظة على أدنى الأسباب.... فزادت حججه ومشكلاته وفر هاربًا منها.

لم تكن تعلم أن قصة قصيرة كهذه ستغير مجرى الأمور وتعبث بحياتها المستقبلية بيد مستهترة خربة....

تساءلت ماذا حدث لخطبتها التي مر عليها عامان؟!.....

لماذا كل شيء تغير لمجرد كونها أصيبت بكسر ومرت بجراحة في ساقها اليسرى واضْطر الأطباء حينها لعمل جراحة متضمنة شريحة وبضعة مسامير؟!

حينها أدركت أنها تحت مجهرهم صاحبة عاهة مستديمة تدفعهم للهرع بعيدًا عنها، وما هي الآن سوى مخادِعةٍ أخفت عنهم حقيقة عاهتها التي عرفوها بمحض الصدفة ليس إلا. ترى كيف كانت ستمر حياته معها إذا تزوجها بتلك الشريحة؟! ألا يحق له أن يتزوج فتاة صحيحة دون زيادة أو نقصان؟!

اتصلت بخطيبها هيثم ليجيبها بعد رنتها الرابعة على مضض:

_نعم، خير؟

_ كنت عايزه أتكلم معاك في حاجة كده.

_ مش فاضي.

_ ما تقلقش، مش هاخد من وقتك كتير... وعموما دي حاجة هتريحك مني خالص وفي مصلحتك.

قالت جملتها وصدرها يختنق ألمًا.

_ ها..... إتفضلي.

_ الصراحة أنا قررت إننا ننفصل، أنا عارفة إني مانفعكش وانت تستاهل واحدة سليمة وأنا صاحبة عاهة من وجهة نظركم... والحقيقة إني مش هينفع أكمل معاك طول ما انت شايفني كده، لأني أنا مش شايفة نفسي كدا ومش هسمح لحد إنه يشوه من صورتي أو يقلل مني.

تنفس الصعداء بعد كلماتها كأنها أزالت صخرة قابعة على صدره وقال دون تعقيب على قرارها:

_ تمام، هاجي آخد حاجتي وكل واحد يروح لحاله.

لم يمانع قط بل استقبل قرارها بترحاب كمن كان ينتظره.... وبالفعل ذهب كل منهما في طريقه.

بعد ستة أعوام وقفت يارا وهي تمسك بيد ابنتها شذى، وخالد زوجها يقف بجوارها حاملًا بين يدية ابنته الأخرى رودينا ينتظرون وصول الأتوبيس، وما إن لمحه خالد حتى أشار له فتوقفت عجلات الأتوبيس أمامه وهدرت أصواته.

صعدوا من الباب الخلفي بحذر ومروا بين المقاعد إلى أن وصلوا لمقعدين شاغرين فجلسا ووضعا الفتاتين على أقدامهما.

نظرت يارا أمامها وخالد منشغل بدفع رسوم التذاكر فلمحت نصف وجه لشخص يجلس في المقعد الأمامي لها مباشرةً وبجواره سيدة، كانت تعرف هذا الوجه جيدًا وبالطبع لم تجهل شخص السيدة، كان يحمل بين يديه ملفا يبدو أنه طبي مدون عليه اسم أحد المعامل الطبية يحوي بعض الأشعة والتحاليل.

لحظات ووصل لها صوت والدته وهي تميل على ابنها وتقول:

_ ماتزعلش نفسك يابني... دي إرادة ربنا.

فقال في حسرة:

_ الدكتور قالي مافيش أمل من العلاج خلاص، وإني أوقفه وأبطل آخده.... وهي قالتلي إنها عايزه تتطلق علشان مش هتستحمل عيبي ده، ونفسها تخلف.

_ طلقها يابني... خليها تغور وماتزعلش نفسك.

فابتسم ساخرًا وقال بصوت يملؤه الحزن:

_ يعني أنا هفضل لوحدي علشان مش بخلف؟!... ومافيش واحدة هترضي بيا.. ولا في أمل في علاجي!

شعرت يارا حينها ببعض الأسى حين علمت حالته وضمت ابنتها إلى صدرها وهي تشكر الله على كرمه وهمست لنفسها قائلة:

"رُبّ ضارة نافعة"

هنا ارتفع صوت زوجها قائلًا:

_ هنا يا اسطى.

ثم نهضوا وتوجهوا نحو الباب ولكن تلك المرة كان الأمامي، فمروا من أمامهما فتلاقت الأعين والتقط هيثم نظرة خاطفة عن حياتها فلمح في عينها نظرة شفقة فهم منها علمها بما آلت إليه أموره فلم يستطع أن يمنع الدمعة التي سقطت من عينه وهو يهمس لنفسه في لوم:

"دنيا دوارة".

*****

حساء بنكهتها

سار على هوادة يتلصص ويراقب، يتخفى وراء العشب يموه ألوانه كالحرباء، يسير بخطوات حذرة بين فواصل كلماتها المبعثرة المدونة على صفحتها الشخصية والتي تلقيها في الطرقات من حين لآخر كالأشواك وتكتب على بعضهم "مقصودة" لترسلها لصاحب الشق على رأسه والبعض الآخر يئن على العمر الضائع والقلوب الخاوية من الحب والتقدير.

تارة تصرخ وتغضب وتارة تبتئس وتحزن، تلوم الزمان والقلوب، فالمشاعر مضطربة والقلب متقلص والخذلان في أعلى مراتبه.

اشتمَّ رائحة فرصته الشهية، فهمس لنفسه: "ألا ترى حياتها تنقلب رأسا على عقب؟!، يبدو أن فرصتك الذهبية تقترب لتصل لمراد قديم كنت قد فقدته بين أطلال الماضي".

الفرصة تقترب مع كل كلمة تكتُبها، يرى الضعف والانكسار قد بلغ أَوْجَه، ظل يراقبها بتمعن، اقترب أكثر منها..... شعرت بوجوده حولها في إعجاب على منشورات الحكمة أو وجه حزين يبكي على منشورات اللوم، يسمع صوتها العالي وهو يصيح في الوجوه حولها، وتحول الأصدقاء إلى

أعداء، وكذلك الأحباء!

الأحباء الذين مالت غصونها لهم في السابق، الذين هرعت إلى أحضانهم وتركته يتلوى وحيدًا، ها قد خابت آمالها وهدأت حماستها التي وارت منذ أعوام حلمًا قديمًا لديه خلف التراب.

توقفت في المنتصف تنظر للوجوه حولها في صدمة، سقطت الأقنعة وتجلى القبح الحقيقي المتخفي، لم يعد هذا القطيع يناسبها، لن تكمل سيرها معهم يجب أن تتوقف...

وبينما هي تقف في المنتصف حائرة كان هو يعد شبكته، القطيع يكمل سيره دون أن يعبأ بها وكأنها لم تنتمِ له يومًا، التفتت خلفها فالتمس اليأس ومرارة الندم في عينيها، وهنا ألقى بشبكته عليها وخرج من بين العشب معلنًا عن نفسه بعد أن ارتدى قفازات السلام مواريًا خلفها بصماته التي تسعى وراء الثأر لروحه، مد يده لها محاولًا إنقاذها وكتب على لوحة الحاسوب:

_ "إزيك"، ثم أرسلها لها.

فأرسلت مستجيبة ليده الممدودة بالمساعدة:

_ تمام.

ما زالت كعادتِها التي لم تُبدلها الأيام كما بدلت حُبها له منذُ أَعوام، تنطِق بتلك الكلمة حين يكون الصفو متعكرًا والمياه آسنة.

أخذ فريسته بين يديه ووضعها في وِعاء وأشعل من تحته الموْقد حرصًا على أنْ تكون نيرانه هادئة لتذيبها في تَأَنّ وتُخْرِج عُصارتها المكبوتة بالداخل.

ثم أرسل:

_ما لك؟

لا بد أن يدغدغ حواسها الغافلة لأعوام ويرش على لحمها حبات الملح والفلفل ليضفي عليها نكهة يرى أنها تفتقدها وهي الاهتمام والاحتواء والذي يبدو أنها في أمسّ الحاجة إليهما الآن.

فأجابته:

_ما فيش....

يبدو أن اللحم تشرب الطعم وذاب بين نسائره، ستتمنع الآن وهي تحاول أن تتماسك وأن تمنع عصارتها من الخروج، فيزيد هو شعلة النار قليلًا وهو واع جيدًا لخطواته ويرسل:

_ لا في، أنا عارفك كويس.... إحكيلي.... ما لك؟

احتقنت عيناها بالدموع وأرسلت:

_ عادي مشاكل.

ابتسم نصف ابتسامة وهو يراقبها تنضح بعصارتها، فضغط أكثر يعتصرها وأرسل.

_أنا حابب أسمعك.. ممكن تفضفضي معايا زي زمان، إنتي عارفة إني بحب أسمعك.

قبضته عصرت قلبها بشدة، فأخرج كل ما كتمته بغرفة الأربعة، أو أعوام زواجها الأربعة.

انخرطت في نوبة من البكاء وهي تسرد له صراعاتها مع زوجها، مشكلاتهما التي باتت كالأحجار المتراصة كحائط بينهما، وهي ترسل:

_ مابقاش يحبني زي الأول أو يهتم بيا.

تخبره أن الحياة معه أصبحت جحيمًا لا يحتمل، فلم يعد يكنّ لها أي مشاعر وكذلك هي.

أرسلت كلمات لا تعد ولا تحصى من الغضب والحزن وهو يستمع لها بإنصات تمنته يومًا ما من زوجها ولو لدقائق.

زاد ضمته أكثر فاعتصرها أكثر وأكثر وأرسل ضربته القاضية:

_ حد يبقى متجوز واحدة زيك وما يهتمش بيها أو يبطل يحبها؟!... دا أنا ندمان إني ماحفظتش عليكي زمان وعرفت غلطتي كويس، وبدعي ربنا إني آخذ فرصة تاني أَصلح بيها غلطتي وأعرف أرجعك ليا.

لمح خط النهاية يقترب من بعيد، فازدادتْ حماسته ونظر في ترقب للحظة الانتصار.

وهي صامتة تعيد حساباتها وتسترجع الحنين لحبها الأول.....

كيف كانت بهذا الغباء لتتركه؟!....

لو كانت معه الآن لعاشت في نعيم أبدي لا ينتهي.....

معه لن تذوق مرارة الإهمال وانعدام الحب...

صدره الرحب سيظل مفتوحًا لها دومًا ليستمع لها دون كلل...

لقد أرسله لها القدر في أسوأ لحظاتها كالنجدة لينقذها، فلولا مداهمته هذه لكانت في مستنقع المفقودين، فكيف لا يستحق منها فرصة أُخرى؟!

_ إحنا فعلا محتاجين فرصة تانيه، أنا فعلًا محتجالك..... محتاجالك أوي الفترة دي تبقى جنبي.

تَهلل وَجهه وهو يُمْسِك بالشوكة في يسراه والسكين في يمناه ويستعد ليلتهم ما صنعته يداه، فلقد نضجت فريسته على نيرانه الهادئة واستسلمت لشهيته فتشربت براعم تذوقه التي تفترش لسانه نكهتها... بل تلذذت بها، وهي تلتقط يده الممدودة إليها لتنقذها من السقوط في الهاوية مُعلنة بدء فُرصة جديدة.

*****

مجرد شكوى

دلفت صباح جارتي إلى منزلي بنحيب وعويل لا ينتهيان، تندِب حظها البائس على الدوام كعادتها.

جلست بجوارها فلمحت كدمات وجهها الزرقاء وجفن عينها الأيسر المتورم فالتاع قلبي في استياء وسألتها:

_ إيه اللي حصل؟

ازداد نحيبها وتساقطت دموعها بغزارة كأن سؤالي قد دهس جرحها وأجابت في لوم:

_أنا اللي عملت في نفسي كده.

ثم لامت نفسها والأيام وأهلها وهي تستطرد في استسلام قائلة:

_ ضربني..... رجع من عند أمه متعصب!... أيوا بعد ما سخنته عليا زي عادتها.... كل دا علشان قولتلها مش عايزه حد يدّخل في حياتي!.... قامت كلمته وقالتله مراتك عايزه تبعدك عني وتفرق بينا ومثلت عليه إنها تعبانة وضغطها عالي.

كنت أستمع لها دون تعجب، فكنت أعي جيدًا درجة انحشار والدته في حياتهما ولكني آثرت الصمت حتى لا أزيد الطين بلة.

ظلت تنعى أيام صباها قبل أن يقذف بها الزمن في بئر الزواج، وتمنت لو أن الأيام تعود بها للخلف حتى لا تختار الارتباط بوالدته ثم به، فهي الأولى في كل شيء في حياته بعد أن فرضت نفسها كالضرة لها وكأنها هي الزوجة الأولى له، وقررت أن تقتسم معها زوجها ولم تمنحها منه سوى حقها الشرعي وسلبتها الباقي.

ربتُّ على كتفها ونهضت لأعد لها كوبًا من عصير الليمون لتهدئتها وحين عدت به وجدتها تنهض في عجالة وهي تلملم هاتفها ومفاتيحها فسألتها متعجبة:

_ رايحة فين يا بنتي؟! استني اشربي العصير.

جففت ما تبقى من دموع على وجنتيها بحذر حتى لا تؤلمها الكدمات وقالت جملتها المعتادة بعد كل معركة لها مع زوجها:

_لازم أروح علشان ألحق أحضر العشاء قبل ما يرجع من القهوة.

*****

رسالة للمرحوم ١

"الابن الأصغر"

سكبتُ الماء البارد على رأس أخي السكير المُلقى على فراشه ليستعيد وعيه الذي بات غائبًا أغلب الأحيان، انتفض في ذعر فبادرت بإلقاء حجتي قبل أن ينقض علي ويفتك بي وقُلت:

_ جاءني خبر وفاة والدك الآن.

اعتدل في جلسته وتجهم وجهه بعض الشيء، عيناه محتقنة بالحمرة ولكن ليس حزنًا على أبيه بل من سكره.... فهو أبعد من أن يحمل في قلبه ذرة حزن عليه.

سألني: كم الساعة الآن؟

أجبته: الواحدة ظهرًا....

ثم أكملت... يجب أن نصلي عليه العصر لنلحق دفنه قبل الغروب حتى لا يحل علينا الظلام... هل ستأتي معي للغسل؟

هز رأسه نفيًا ثم تنهد بتأفف:

_سوف أحضر الصلاة وسأقابلكم عند المسجد لأثبت حضوري لا أكثر.... ورحم الله الجميع إلا هو.

قالها في صوت منخفض حتى لا أسمعها ولكنها ثقبت أذني وقلبي.

غادرت بمفردي..... إذن لم يعد سواي ليقوم بتلك المهمة ويودعك في اللحظات الأخيرة.

أنهيت مساعدتي للحانوتي بقلب مثلج... فقط أفعل ما يأمرني به كمساعدة الذي لا يعنيه الميت من قريب أو بعيد. وحين انتهينا استدعيت أصدقائي لننقله إلى المسجد حيث الصلاة.

لم يخذلوني بل جاؤوا جميعًا إكرامًا لي ولكن لم أجد أحدًا إكرامًا لوالدي.

حملنا النعش وسرنا نحو المسجد القابع في الشارع المجاور فوجدت أخي يقف أمام المسجد ينتظر حضورنا، تأملت ملامحه التي كادت تختفي خلف سكره الدائم باشتياق، فلم أعد أراه في كامل وعيه منذ فترة ليست بالقليلة.

أنهينا صلاة العصر وحان وقت الصلاة على جثمان الميت، نقلنا النعش ناحية القبلة وساعدني أخي حتى يتفادى لوم الناس حوله...

تأملت الأعداد من حولي فلم أجد الكثير من المصليين رغم أن إمام المسجد نادى في المذياع وأعلن عن وفاة والدي وموعد الصلاة إلا أنه ما زال الوافدون قليلين.

أعلم أن المحبين له ليسوا كثيرين... وإن وجدوا في الحقيقة! فهو لم يعتد إلا على حب ذاته فقط.

اصطف المصلون ووقف الإمام عند الرأس ثم بدأ في الصلاة.

التكبيرة الأولى

قراءة الفاتحة

ها هي اللحظة التي سأقرأ الفاتحة على روحك يا والدي لعلها تشفع عنك خطاياك.

ثم نظرت للنعش أمامي وهو على بعد ما يقارب مترين وحادثته في سري:

أتدري يا والدي متى كنت على مقربة منك ولا تفصلنا مسافة تتعدى السنتيمترات..... كانت عندما كنت أسكب على جسدك البارد الماء.

أعوام.... وأعوام وأنا أتمنى هذا القرب وأنت على قيد الحياة، كم تمنيت أن تضمني يومًا لصدرك وتحنو علي وتخبرني بحبك... هل كان هذا كثيرًا علي أم كثيرًا عليك وثقيلًا لتفعله؟

تمنيت أن أكون بجوارك في لحظاتك الأخيرة وأن أنال رضاك.

ترى لماذا دفعتنا بعيدًا عنك بكل عزمك؟...

أتذكر في صغري كم كنت تكرة لقاءنا وتحاول أن تبتدع كل الحجج هربًا منا منذ انفصالك عن أمي.

التكبيرة الثانية

الصلاة الإبراهيمية

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

التكبيرة الثالثة

الدعاء للميت

الآن يتوجب علي الدعاء لك... آسف يا أبي لم أجد بداخلي دعوة لك في هذا الموقف... بل لم أوفر لذلك اليوم دعوة فجميع مخزوني من الدعاء أهْدرته عليك وأنت على قيد الحياة.

كم دعوت بأن تحبنا أو ربما تهتم بأمرنا أو تحنو علينا أو تسمعنا.

ذكرياتي كلها معك تحزنني، أتذكر يومًا كنت في العاشرة من عمري حينها قررت أن أدفع لك كل ما جمعته من مصروفي في الحصالة ثمنًا لساعة معك تشاركني بها لعب الكرة كزملائي وآبائهم..... أعلم أني كنت أبله ولكني كنت أعلم جيدًا أن رضاك بالفعل يشترى بالمال ولكني لم أبال إلا بقضاء وقت سعيد معك أشعر فيه بالحب لا أكثر حينها تبددت أحلامي السعيدة حين هاتفت والدتي فركضت نحوها وجلست بجوارها أستمع لحديثكما.

فوصلني صوتك العالي وأنت تخبرها:

_ لا ترسليهم اليوم، فيومي مُكتظ بأكمله وغدًا لدي سفر عمل.

ما زالت الجملة تتردد على مسامعي كأنها الآن.

فتبدل وجه أمي كعادته للحزن... كم كانت تشفق علينا وعلى نفسها.

وما زلت لا أعلم لمَ لم تحبنا؟!

التكبيرة الرابعة

أدعو لنفسي وللمسلمين

هذا ما توجب علي فِعله الآن، أتدري بما سأدعو لنفسي وللمسلمين جميعًا؟

بألا نصبح مثلك أبدًا... وأن تلين قلوبنا لمن نحب... سأدعو بأن أعطي لأولادي وزوجتي كل شيء أمتلكه دون أن أبخل عليهم مثلك.

ولكن هل سأتزوج يومًا ما بعد تلك العقدة التي تنامت بداخلي بوجودك.... لعل رحيلك سيشفيها وأخيرًا ربنا يرحمنا جميعًا.

*****

رسالة للمرحوم ٢

"الابن الأكبر"

حين أيقظني أخي الأصغر من غفوتي بعد ليلة سكر مع أصدقاء السوء كما تطلق عليهم والدتي، نهضت في غضب عندما سمعت عذره القبيح لفعلته... نعم كان عذره أقبح من الذنب الذي أقترفه.

لقد رحمك الله مني قبل أن أنال أنا شرف قتلك... كم كنت أتمنى أن أشفي غليلي منك وأخلص من وجودك في عالمنا... كم منعت نفسي كل ليلة حتى لا أخسر حياتي مقابل روحك الزهيدة كما خسرت سابقًا الكثير بسببك.

الآن سأصلي عليك وأنا الذي نسي الصلاة منذ أعوام... كم تمنيت أن تصحبني إلى المسجد كما يفعل آباء أصدقائي... أن تعلمني الوضوء والصلاة بدلًا من الغرباء الذين كنت أقابلهم بالصدفة في المساجد وأجمع من كل واحد منهم معلومة، كانوا أحيانًا يسألونني عن أهلي أو القائمين على تربيتي فأتهرب منهم حتى لا ألفظ باسمك.

أنت من توجب عليك أن تعلمني هذا... ولكن كيف وأنت لم تدرك واحدة يومًا ما؟! حتى صبر الصيام تعلمته من والدتي أما أنت فلم تعلمني سوى كيفية خسارته في الخفاء وخلف الغرف المغلقة.

تهربت من لقائي الأخير معك وأنا أكبح رغبتي الملحة في قتلك.

هل كانت موتتك هينة؟ أتمنى ألا.

هل بلل أحد جوفك الظمئ وأنت تلتقط آخر أنفاسك برشفة ماء؟

أتدري شيئًا لو كنت حاضرًا معك في تلك اللحظة وبيدي الماء لسكبته أمام عينيك على الأرض وما أعطيتك رشفة واحدة.

التكبيرة الأولى

كيف أقرأ على روحك الفاتحة الآن؟، هل تعلم أنك لم تقرأ أمامي آية في حياتك، أمي من حفظتني الفاتحة فلا حق لك فيها الآن...

أنا أقف أمامك الآن فقط لأداء الواجب في توجب ظهوري فلا حجة لتغيبي كما اعتدت أنت أن تفعل طوال حياتك معنا.

في الحقيقة أنت لا تستحق الصلاة والدفن.. لو تركوني لتركتك تتعفن في منزلك بمفردك أو ألقيت جسدك للحيوانات الضارية تنهشه.

لولا لوم الناس لما وقفت أمامك الآن أتظاهر بالصلاة عليك ولصرفت الجميع حتى لا تحظى بذرة شفاعة واحدة.

التكبيرة الثانية

الصلاة الإبراهيمية

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

التكبيرة الثالثة

الدعاء للميت

أتدري بأنك ميت منذ أعوام كثيرة... منذ أكثر من عقدين حين قررت أمي أن تنجو ببقايا حياتها منك ومنذ ذلك الحين لم أجد لك دعوة سوى "ربنا ينتقم منك"، كم كنت أرى الكره

في عينيك حين ترانا كأننا لعنة حلت على رأسك... كنت تلقينا في الشوارع في ساعات لقائِنا التي من المفترض أن تجمعنا.. فقط تلقينا دون سؤال لتريح رأسك من أصواتنا.

أتذكر صرخاتك في وجهي ووجه أخي وأنت تأمرنا بأن نحضر معنا أموال طعامنا حتى لا نحملك إياه على عاتقك، وحين تعطيني في يدي أموال النفقة في العودة لأعطيها لأمي وأن تفزع في وجهي قائلًا:

_ لا أموال أخرى لكم.. فهذا كل شيء لكم لدي وهي التي تنفق عليكم الآن.

ثم تغادر دون أن تودعنا.

تمنيت أن أمحو اسمك التابع لاسمي وأن أقطع ذلك الحبل الذي يربطنا ولم أستطع... أعلم أني في الماضي أشعلت فتيل الحرب بينك وبين أمي حين أخبرتها بما تخبئه في جهاز الحاسوب... ومنذ ذلك الحين تغير كل شيء.

كنت صغيرًا لا أعي حقيقة الأمر أو عن ماذا أتحدث ولكن مع مرور الأيام بت أعرف أنك دنس.

وها نحن نجني ثمارك العطنة لذلك سأدعو لك بأبدية في جهنم لا نهاية لها.

التكبيرة الرابعة

سأدعو الآن لنفسي بأن يكرمني الله بحياة جديدة لا مكان لك فيها وأن يقبل دعوات أمي بأن يبعدني عن كل شر وأصدقاء السوء وأن يحفظها لي ويُمكّني من رضاها.

أعلم جيدًا أني أنهكتها كثيرًا، فيا رب أعني على نفسي وردني إليك ردًّا جميلًا.

وأدعو للمسلمين بأن ينالوا جميعًا الرحمة والمغفرة من الله وأنت لا تشتم رائحتها قط.

فلترقد على جمر من النار يا من حملت اسمك قسرًا.

*****

حتشبسوت والغُراب الأسود

طيبة

نَهار السادس من شهر برمودة/ فصل شمو (الحصاد) ١٤٧٧ق.م

خرج جندي يدعى "نارمر" بردائِه العسكري بعد أن أبلغ رسالته للملكة "حتشبسوت" الجالسة على العرش الملكي بردائِها الكتاني الأبيض الكاشف عن ذراعيها و قد ارتدت في إحداهما سوارًا ذهبيًّا عريضًا، بدا على وجهها الغضب والتوتر بعد أن أخبرها ذلك الجندي برسالته، فنظرت بجوارها نحو مستشارها "سنموت" وقالت باسْتِشاطَة تكوي جُدران قلْبِها وأعْتاب غايتِها:

_ لا تزال أصواتهم صاخبة و تزعجني بشدة.

أجابها بحيرة:

_ليس أمامنا سوى قطع ألسنتهم والتخلص منهم.

_وماذا عن الكهنة؟

_جميعهم طوع أمرك سيدتي، وقد أقروا بأحقيتك في العرش وأنك فرعون الأرضين.

_ولكن لا يزال ل "تحتمس الثالث" حلفاء يهددون بسرقة العرش مني!

_بحنكتِك سنُخرِس تلك الأصوات.

_إذا تخلصت من قائدهم "تينا" واشتموا رائحتي سيثور أنصارُه ويزدادون عددًا، حينها سأخلق الكثير من "تينا"، وسأخسر من طرفي الكثير، يجب أن أصنع فخا يُفرق بينهم ويدب في نفوسِهم الخوف.

ثم نهضت تاركة العرش واتجهت نحو جناحها الملكى.

أمرت "حتشبسوت" خادمتها "حرنيت" بأن تحضر لها رداء التخفي، فذهبت "حرنيت" وأحضرت الرداء ثم بدأت في نزع رِداء حتشبسوت لتُلبِسها رِداء التخفي الذي تمثل في زي أسود فضفاض يكسو جسدها بالكامل ووضعت على رأسها وشاحا أسود يغطي وجهها.

سارت الملكة بين مُنحدرات الجبال في عتمة الظلام تسترشد بضوء القمر لينير ظُلمة الليل، تخطو على الرمال بخطى تعرف طريقها جيدًا إلى أن وصلت إلى وجهتها.

أمسكت شُعلة خشبية مشتعلة بالنار معلقة على حامل في مدخل الكهف لتنير لها طريق الممر المُظلم وسارت تهتدي بضوئها بخطى واثقة لم تذق مرارة الرهبة يومًا.

التقطت عيناها في نهاية الممر ضوءًا فتبصرت وُصولها لوجهَتِها وما إن أنهت الممر وجدت نفسها بغرفة الساحرة "سادة" الساحرة السوداء، والتي كانت جالسة على أريكة خشبية يُحيطها جماجم بشرية، وجثث لحيوانات مُحنطة تزحف حولها الثعابين.

نهضت "سادة" واتجهت نحو الملكة قائلة:

_كنت في انتظار حضورك يا مولاتي.

فألقت إليها الملكة كيسًا من الحرير بداخله قطع من العملات الذهبية.

فتلقفته "سادة" بحماس مبتسمة ابتسامة كشفت عن أطلال أسنان التهمها السوس وملأ جوفه منها وتبقى منها فضلات صفراء بنقر سوداء كرِدائَها المُهترئ.

ثم قالت الملكة:

_ستحصلين على المزيد حين أنال مرادي يا "سادة".

فأجابتها:

_لا تخافي يا مولاتي، بين ليلة وضحاها سيتغير كل شيء لِصالحك وستنالين مرادك.

ثم نادت بصوت جَهْوري في الهواء:

_ أين أنت؟

أَخرج ثُعبان أسود رأسه زاحِفًا من عين إحدى الجماجم المُعلقة على جذع شجرة جافة متحجرة بجوارها، لمحته "سادة" فتوجهت نحوه آمرة:

_ أُريد المراد.

فنفض الثعبان رأسه متحولًا إلى غُراب أسود وحلق في الهواء وهو يَنْعق ثم طار مغادِرًا الكهف.

اليوم التالي / منتصف الظهيرة.

بصحراء طيبة وسط أُوام وقيظ الشمس وقف "تينا" قائد حزب الغزو يتدرب على الرماية ممسكًا القوس والسهم يصوبه تجاه تِمثال من القش صنعه ليلعب دور الهدف الذي سيُصيبه.

بدا على بنيته كونه من أكفأ الجنود في الغزوات منذ أعوام، كان قوي الجسد، عريض الكتفين، طويل القامة، لا يخطئ سهمه أبدًا، ويَصعُب الفتك به.

سمعَ فجأة من خلفه نعيق غُراب يقترِب من وراء ظهره فاستدار متوجِهًا صوب صوته، وإذ فجأة وجد فتاة تقف وراءه كانت متلألئة بين أشعة الشمس، بيضاء كالثلج، كشِتاء اجْتاح صهد الشمس، بدت غريبة بجمالها على عكس فتيات طيبة بجمالهن الأسمر.

شعرها أسود مموج ترتدي رِداءً قصيرًا من الكتان الأبيض كشف عن ساقيها وذراعيها البِيض.

اقتربت من شفتيه بشفتيها الحمراء ووضعت قُبلة أذابت ذهوله وأسدلت جفونه بنعومة مبحرًا في متعتها إلى أن انتهت ففتح عينيه وهو لا يزال يتذوق نكهة شفتيها فمالت وقطعت من طرف رِدائها قطعة من الكتان كَشفت عن جزء أكبر من ساقها وجففت بها حبات العرق الناشع على جبينه ووضعتها بين شفتيها بغنج وهي تُلامس كتفه بأناملها وتستدير حوله فاستدار مسرعًا ليُمسِك بها فلم يجدها، بحث عنها بعينه فلم يجد سوى السراب في الصحراء كأنها من أضغاث أحلامه، أو أن حرارة الشمس أذابت عقله فخيلت له نسماتِها لتُلطف حرارتِه المشتعلة.

شعر بثقل في رأسه اضطره إلى جمع أشيائِه والعودة إلى بيته ليستريح قليلًا لحين قُرب موعده المحدد للاجتماع في المساء مع أنصارِه في معبد إله الشمس للتآمر ضد "حتشبسوت" ووضع خطتهم لانتزاع الحكم من يدها وتسليمه للوريث الشرعي "تحتمس الثالث".

عاد إلى دارِه وألقى بحقيبة سلاحه جانبًا وأراح جسده على مصطبة من الطوب اللبن مخصصة للنوم وغط في سُبات عميق.

عاد الغراب إلى كهف الظلام ينعق ممسكًا بمخالبه الخرقة البيضاء وألقاها بجوار "سادة" ثم هبط ووقف بجوارها.

أمسكت الساحرة الخرقة وهي تربت على رأسه قائلة:

_أحْسنت.

ألقت الخرقة في قدر من الماء المغلي أسفله خشب مشتعل وأخذت حِفنة من الرماد من حاوية من الفخار بجوارها وألقتها في قدر الماء المغلي ثم التقطت نملة من الأرض وألقتها في القدر وانتزعت من الغراب ريشة سوداء وأخذت تقلب بها الماء في القدر.

شعر "تينا" بصوت خطوات تدور حوله في غرفته سلبت النوم من عينيه ففتح جفونه بثِقل شديد حينها ظهرت امرأة

من وراء سحابة بيضاء أعاقت وضوح رؤيته لوجهها، لحظات وتلاشت السحابة كالدخان ودقق النظر فوجدها عدوه اللدود وخصمهُ "حتشبسوت".

شعرت باستيقاظه فقالت:

_حاولت إسكاتك بشتى الطرق ولكن ما زال لسانك يثرثر هنا وهناك.

واقتربت نحوه وهو ملقى على فراشه لا يقوى على الحركة كأن أطرافه مقيدة.

ثم أردفت:

_أنت لا تدري عن مقدرتي شيئًا، سأقتلع رأس كل من يقف في طريقي ويحيل بيني وبين عرش الفرعون مهما كلفني الأمر.

وصبت على رأسه قدرًا من الماء المغلي.

انتفض في فزع وفتح عينيه وشعر بأنه كان وسط كابوس إلا أن شعوره بسخونة وجهه والماء الذي بلل صدره أحال كابوسه إلى حقيقة، نظر حوله بهلع يبحث عنها فلم يجدها، حاول النهوض من فراشه إلا أن ثِقل أعضائِه كافة خذلته، وأوصاله مقيدة بحبل لا يراه، شعر بتنميل في ذِراعِه اليسرى فوجه نظره نحو ذِراعه وإذا بأسراب من النمل تغزو ذِراعه

اليسرى، حاول جاهدًا تحريك ذِراعه ولكن دون جدوى شعر حينها بثِقل يعيق تنفسه فالتفت ليجد غُرابًا أسودَ يقف على صدره. نظر إليه في فزع وهو ينعق باتجاه النافذة فيجد في وجهه سِربًا من الغربان قادمًا نحوه لينقض عليه، ظل يصرُخ وينازع إلى أن فتكوا به وساد الصمت.

عُقِد الاجتماع في المساء وتغيب عن حضورِه قائدهم "تينا" فاخترق القلق صدورهم وفضوا الاجتماع لحين موعِد آخر يحدده القائد.

ذهب صديقه "حتب" إلى دار "تينا" ليستشف منه سبب تخلفه عن اللقاء وظل يطرق الباب لعدة دقائق إلى أن فقد الأمل فاضطر إلى كسر الباب واقتحام البيت، ربما أصاب صديقه أي مكروه.

حطم "حتب" الباب ودلف إلى غرفة "تينا" فوجد هيكله ملقى على المصطبة، ودماؤه متناثرة في الأرجاء، حينها أصابته الصدمة فهرع إلى الخارج في جزع يصرخ.

في اليوم التالي أُذيع خبر وفاة قائِد حِزب الغزو في ظروف غامضة مما أدى إلى بث الخوف والهلع والفرقة في نفوس حُلفائِه.

حين وصل الخبر إلى "تحتمس الثالث" في مدرسته العسكرية شعر بفقد الأمل، وأن الأبواب أُغْلقت في وجهه بعد

أن سلبت زوجة أبيه منه العرش متجاهلة حقه في الحُكم كما فعلت مع والده "تحتمس الثاني".

استغلت "حتشبسوت" ذلك الموقف واستدعت المستشارين وكبار الكهنة وكبار قادة الشعب والزعماء، ودخلت "حتشبسوت" من بينهم في القاعة الكبرى بالقصر الملكي يسير خلفها مستشارها ومدير بيت الإله آمون "سنموت". وجلست على كرسي الفرعون مرتدية رداءه الذكوري. قميص فضفاض من الكتان الخشن وفوقه صدرية، تضع على ذقنها لحية صناعية صيغت من الذهب وفي إحدى يديها السوط والأخرى القضيب المعقوف رمز مفتاح الحياة وفوق رأسها التاج المزدوج الثقيل، وقد بدا على وجهها الجمود والعبوس وتشع منه عينان ثابتتان في النظرات.

ثم صاح "سنموت "بجوارها في المدعوين قائلًا:

أُقدم لكم اليوم سيدة كل الأراضي الابنة الملكية، والأخت الملكية، فرعون مصر العليا والسفلى، ابنة الإله آمون، الفرعون الأعظم "حتشبسوت".

فانحنى الجميع تمجيدًا وتعظيمًا لها.

رحم صخري

حانت لحظة ميلاده ليخرج من ظلمته إلى النور ليلقي فرصته في الحياة كمن يملكون نفس عمرِه، أيقظ جفونه الكسول وفتح عينيه وكأنه لم يفتحها....! ما زالت الظلمة قابعة في الأرجاء، والظلام يحوم حوله في كل مكان، أطبق جفونه وفتحها مرة أخرى ولكن لم يرَ سوى الظلام، كرر فعلته ثم كررها ثم كررها فلم يجد سوى السواد الذي يحيط به وهو ما زال في وضع الجنين.

تساءل في حيرة: "ألم أولد بعد أم أنني جنين أعمى لا يرى سوى الظلمة؟".

تحسس الجدران من حوله فلم يجدها مطاطية لينة بل كانت قاسية جافة كالصخور، استدار وهو يتحسس كامل الجدران لعل ظنه يخيب ولكنه وجدها بنفس الملمس.

_ربما هذا أحد أحلامي السيئة، بلى إنه كابوس أحمق يؤرق راحتي ولحظات سعادتي بالحياة.

محاولاته لم تنتهِ وهو يبحث عن مخرج.... ربما شعاع من الضوء يشق الظلمة الدامسة أو شق لين ينزلق منه للعالم

الجديد ولكنها جميعًا باءت بالفشل الشنيع.

_ ترى هل خُلقت في رحم صخري؟! ولم أولد كالباقين، هذا ليس من العدل.

ثم ركل بقدمه الجدار بنفاد صبر وهو يستطرد متسائلًا:

_كيف سأخرج من هنا الآن إذا كان هذا حقيقيًّا وليس بكابوس؟

في تلك الأثناء جاء صوت من الخارج يحدثه:

_" مبروك أنت صاحب الحظ السيئ ممن يسكنون الرحم الصخري، وأمامك خياران إما أن تشق الصخور بيدك وتخرج للحياة أو أن تستسلم للموت بسهولة، ولا تقلق يا صديقي لن تشعر بالعار إذا اتجهت للخيار الثاني فمعظم الحالات التي تشبهك اختارته وندرة هم من خرجوا للنور.

الخيار بين يديك الآن ونحن في انتظار قرارك، واعلم أن ليست كل الحواجز يمكن التغلب عليها إنما هناك من تلقى حتفك على أيديهم يا عزيزي، أنت لم تعد جنينًا كما كنت إنما أنت الآن أصبحت يافعًا عاقلًا كاملًا بإمكانك أن تجد دربًا للحياة بنفسك دون المساعدة".

سأله الجنين بذهول:

_كيف لي أن أجد دربي وأنا سجين رحم صخري ومتكور كالأجنة، وتحيطني الظلمة من كل مكان أي درب هذا؟!.... إنما هي حتمية الموت؟

أجابه:

_ ابحث بذاتك عنها، آه هناك خبر آخر مهم، يتوجب علي أن أُعلنه لك، من الآن سينقطع عنك الحبل السري ولن تجد الغذاء لحين خروجك، فمن الأحرى لك أن تحاول استغلال طاقتك قدر الإمكان بشكل سليم ولا تهدرها، والآن نتمنى لك التوفيق وسأودعك على أملٍ للقاءٍ قريب.

ابتسم الجنين بتهكم وهو يقول: وكأنك تهتم لسلامتي!

الآن باتت الخيارات محدودة إما النجاة أو الموت، احتمالات الخروج ضئيلة تكاد تكون منعدمة واحتمالات هلاكه متوقعة بنسبة مئوية كبيرة لا يمكن نكرانها أو تغافلها.

فكر في الظلمة من حوله يبحث عن سبل للخلاص، كيف سيوازن بين طاقته بعد أن قُطِع عنه مصدر الطاقة الوحيد وبين نجاح محاولاته؟

الوقت يسير كالضباب أمام ناظره... الانتظار كذرات الهواء تتسلل بين الضباب وتبدده لا جدوى منه سوى استنزاف آمال

النجاة، لم يعد هناك سوى قرار المواجهة.

كور قبضته في المساحة الضيقة ولكم الجدار فلم يحرك ساكنًا، عاود الكرة مرة أخرى ولم تختلف عن سابقتها فتبعهما بالثالثة في إصرار فلم تنجح هي الأخرى، الجدار صخري قوي لا يهتز بلكماته، ولكنه لن يستسلم بتلك السهولة، ركل بقدمه مرة تلو الأخرى إلى أن وصل للعاشرة ولكن لم تُحْدِث ركلاته أي جديد سوى بعض القطع الصغيرة المهشمة من طبقات الصخر التي تشاركه الرحم الآن.

دب التعب في أوصاله وهو يلح عليه بأخذ قسطٍ من الراحة حتى لا يهدر طاقته المحدودة، فلبى إلحاحه وأسند رأسه الثقيل إلى الجدران مستسلمًا للنوم لعله بعدها يستعيد نشاطه.

بعدها بساعتين استيقظ من غفوته وهو يفتح عينيه ليجد نفس الظلمة، شعر ببعض الجوع، تجاهله، ثم استجمع تركيزه مرة أخرى صوب الجدار الصخري ثم بدأ مرة أخرى.

ظل يلكمه بقبضته إلى أن أدميت يده وانتشرت بها الجروح والتشققات وبدأت شعلة طاقته في الخفوت، أراح ذراعه المُتألمة واستبدل بها قدمه وراح يركل ويركل.

لماذا الجدران تبدو خراسانية لا تتأثر كالجبال الشامخة في مهب الرياح؟

لم يكف عن الركل إلى أن كسر ساقه في إحدى الركلات، سقط يتلوى وهو يصرخ طلبًا للمساعدة ولكن لا أحد يستجيب، طاقته تنحدر، أراح ساقه وحاول احتواء آلالامه بعقل مستميت خلف النجاح، قطرات العرق تنشع على جبينه ومعها يولد شعور الظمأ، يرغب في القليل من الماء ولكن لا يوجد... فازدرد ريقه مسكنًا لظمئه ثم عاد يلكم الجدار بقبضته الأخرى مرة تلو الأخرى إلى أن سقطت قطعة صخرية كبيرة ولكن حجمها كان أقل من أن يحدث فارقًا في سمك الحائط، التقطها وأكمل بها طرقاته على الحائط، تشقق حلقه كالأرض البور وغلبه لهب الظمأ، ألم ساقه لا يُحتمل مقارنة بألم يده المدماة.

فترة راحة أخرى نقصت من بطارية طاقته بقدر تخطى ثلثيها، راح يطرق مرة أخرى ولكن تلك المرة كانت طرقاته ولكماته بطيئة مجهدة، جسده بدأ في التراخي، الجوع والعطش ينهشان جوفه.

فاستوقفه عقله فجأة وسأله:

_هل النجاة تستحق كل هذا العناء؟ ألا يحق لك أن تُكْرم جسدك وتريحه من كل هذا الألم؟، قدم مكسورة وأخرى أصاب كاحلها التواء ويداك تنزفان الدماء، أصابعك تورمت وبطارية طاقتك صبغت بالحمرة وبدأت تئن وتئن.

ركل الجدران بقدمه المصابة بالتواء في يأس شديد.... صرخ بعدها من شدة الألم، فاستطرد العقل حديثه:

_ لقد أخبرك الصوت الخارجي أن احتمالات نجاتك ضئيلة ولا عار في استسلامك للموت، استسلم يا صديقي.... فلا بأس بهذا لتريح جسدك من آلالامه... فطاقتك لم تعد تتعدى العشرة في المائة، استسلم واستقبل نهايتك بشرف محاولاتك المستميتة.

استمع إليه في طوع ورضوخ مستسلمًا بعد أن بدأت شعلة طاقته تخبو رويدًا رويدًا... ثقلت جفونه من التعب فأغلقهما بحثًا عن الراحة وغفا في استسلام، حينها استمع لصوت دقات قلبه وهي تهدأ ثم بدأ العد التنازلي لمقياس طاقته، ونهايته شارفت على الوصول

٩

٨

٧

٦

ركل بقدمه ركلة ترجٍّ وتوسل

٥

٤

٣

لكمة واهنة عاجزة وعاد للاستسلام بتراخٍ.... حينها بدأ يسمع صوت تصدع الجدران الصخرية وهي تتشقق وتخترق فواصلها أشعة الضوء فلمح أحدهم يزعج ظلمته، لم يصدق رؤية عينه حتما إنه حلمه بالخلاص الذي يزوره للمرة الأخيرة... وهو الآن يواجه موته ككثير ممن سبقوه بنفس الحظ.

٢

ازدادت شقوق الجدران وبدأت في الانهيار لتحل محلها أحزمة سميكة من الضوء، وقبل أن يلفظ نفسه الأخير كان الرحم الصخري قد تهاوى بأكمله ليجد نفسه وسط ساحة واسعة تعلوها سماء وأصوات.... والهتافات والتصفيق يعلو من حوله والصوت الخارجي يعود مرة أخرى ويهلل في المذياع قائلا بحماس:

_فلنُحيِّ الآن ناجينا المقاتل ونرحب به في أرض الخلاص.

*****

معنا أم معهم

جلس ثلاثتهم حول مائدة الحوار، ضيفان والمحاور يتوسطهما... يتناقشون في برنامج يومي لمحاور وإعلامي شهير يرتدي بدلة رمادية من ذوات الماركات العالمية، ويبدو على مظهره سعة عيشه الكريم الذي أنفق عليه من عُمره أكثر من أربعة عقود.

ورغم عمره الذي تخطى الستين بدت صحته كأصحاب الثلاثين.. مهندم وأنيق، شعره مشذب بشكل يليق بمكانته الرفيعة رغم الشيب الذي تخلله.

كان استعداده لبرنامجه اليومي كالعريس الذي يتزوج بشكل يومي، وكان نقاشه مع ضيوفه يسير في محور لائق ومتحضر إلى أن بدأ أحد الضيوف المعركة حين رد على سؤال المحاور قائلًا:

_أحب أن أحتفظ برأيي لنفسي في النقطة دي.

حينها امتعض وجه المحاور وتبدد وقاره، وسأله مرة أخرى عن رأيه في إصرار مُلِّح:

_لا لازم أعرف رأيك.

فأجابه بعدم أريحية:

_يا فندم رأيي مش مهم، دي مش قضيتنا دلوقتي! إحنا هنا بنتناقش في موضوع تاني خالص.

_ لا إزاي؟! كله مرتبط ببعض.

_ لا طبعا دي حاجة تخص أصحابها، وأنا مش المفروض أقيِّم حاجة زي دي من وجهة نظري.

_ يعني إنت مش معانا؟!

ظل ثالثهما يراقب أمواج الحدة وهي تتعالى بينهما في صمت دون أن يتفوه بكلمة.

فعاد الضيف يعقب على اتهام المحاور له مجيبًا بغضب:

_يا فندم إيه علاقتنا بالموضوع دا أصلا؟! دي سياسة دولة تاني ماتخصناش!

_ لا لينا علاقة مش أعداءنا... ما هو إنت يا معانا يا معاهم.

_ أعداءنا؟! آه.. بس دي شؤونهم الداخلية لا تعنينا.

_ يبقى إنت معاهم؟

_ لا حضرتك في طريق تاني اسمه مع الحق... مش شرط أكون مع حضرتك أو معاهم.

_ ما هو الحق أصلًا معانا.

_مين قال إني الحق معانا؟!

حينها صاح المحاور بغضب في وجهه ورذاذ لعابه المحتقن ملأ وجه الضيف وهو يقول صارخًا:

_يبقى إنت كدا معاهم وضدنا؟! أيوا إنت كدا معاهم.

حينها تدخل الثالث في الحوار لتهدئة المناقشة قبل أن تتفاقم الأمور وقال موجهًا كلامه للمحاور:

_ حضرتك صح... أنا معاك قلبًا وقالبًا.

فنهض الضيف الآخر ونزع المايك من ملابسه وألقاه على الطاولة وغادر دون تعقيب.

*****

بث مباشر

توقف القطار على محطة محافظة المنيا المتجه إلى القاهرة، احتضنت هيام ابنتها خلود بشدة وهي تذرف الدموع، لأول مرة تبتعد عنها وتسافر بمفردها لتبدأ حياتها الجامعية في جامعة القاهرة التي اختارتها خلود بنفسها، فقد كانت فضولية منطلقة تحب التغيير وتجربة كل ما هو جديد.

رفضت الالتحاق بجامعة محافظتها وفضلت الاغتراب بحثًا عن بعض الخبرات الجديدة والممتعة، ذَكّرتها والدتها بتحذيراتها التي لطالما أملتها عليها منذ عرفت بقبولها في تلك الجامعة، أن تحافظ على مالها من السرقة بعد أن أعطتها منه الكثير حتى لا تلجأ لأحد وخاصة خالتها، وأن تبحث عن سكن مغتربات آمن، وألا تذهب إلى خالتها قط.

صعدت خلود إلى القطار وهي تُطَمئِن والدتها بأنها استمعت للتعليمات جيدًا ووعدتها بالتنفيذ، جلست على مقعدها بسعادة وارتياح أخيرًا ستبدأ مغامرتها.... شعور الإثارة والحماس يغمرانها، لحظات و تحرك القطار في اتجاهه فأخرجت هاتفها وأرسلت إلى شهاب رسالة على الواتس آب:

_ أنا في القطر دلوقتي؟

_ لما توصلي كلميني.

_أوك.

في الحقيقة كان شهاب سببًا رئيسيًّا في اختيار جامعة القاهرة، كان سببها الخفي الذي لم تخبر به والدتها والذي ادعت والدتها بأنها لا تعلمه، شهاب حبها الوحيد منذ الطفولة ابن جارتهم التي تسكن في الشقة المجاورة لهم، كان يكبرها بعامين، التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة فتبعته خلود مغمضة العينين وكتبت رغبتها الأولى في التنسيق آداب جامعة القاهرة.

مرت ساعة منذ أن تحرك القطار كانت خلود تراقب الطريق من الشباك الزجاجي بانبهار وفي تلك اللحظة ارتج القطار عدة مرات ثم توقف، سمعت صوت أحدهم يقول هناك عطل في القطار سيستغرق إصلاحه ساعة ثم يكمل طريقه.

أرسلت له:

_القطر عطل وهتأخر شويه.

_ أوك إبقي طمنيني لما يتحرك.

مرّت أربع ساعات والساعة أصبحت العاشرة مساءً وما زال القطار متعطلا، فاتصلت والدتها لتطمئن عليها فأخبرتها

بقصة القطار فثار جنون والدتها، فحاولت خلود تهدئتها وأن هناك الكثير من الأشخاص معها في العربة ولكن لم تهدأ هيام وفي النهاية ذكرت تحذيراتها مرة أخرى وهي تؤكد على الأخيرة.

_ ماتروحيش عند خالتك هياتم إنتي سمعاني؟

_حاضر.

مرت ساعة أخرى إلى أن تم إصلاح القطار وبدأ في استكمال رحلته، هبطت خلود من القطار على محطة الجيزة والساعة أصبحت الواحدة صباحًا فطمأنت والدتها بوصولها وكذلك شهاب الذي حاول إقناعها بأن ينتظرها على المحطة لتأخر الوقت فرفضت بسبب مرضه بعد أن تمكن منه البرد وأصبح طريح الفراش يعاني من الحمى والنزلة الشعبية.

أوقفت سيارة أجرة وطلبت منه أن يتوجه بها إلى أقرب فندق أو بنسيون، أوصلها إلى الفندق، ولكن للأسف لم تجد غرفة فارغة، خرجت وذهبت لآخر وأيضا لم تجد غرفة لها، كانت تشعر بالتعب والإجهاد.... فقط تريد فراشًا تريح عليه رأسها لبضع ساعات، فساعات الانتظار الطويلة والسفر والحقائب وتأخر الوقت أجهدتها، ولم تجد أمامها سوى طريق واحد بعد أن أُغْلقت في وجهها جميع الأبواب.

ستذهب لخالتها وإلا ستقضي ليلتها الأولى في القاهرة في الشوارع وعلى الأرصفة.

أوقفت سيارة أُجرة وركبت وهي تُمْلي عليه عنوان وجهتها.... ما زال صوت تحذيرات والدتها في أُذنها.

فهمست لنفسها: أنا آسفة يا ماما، مافيش حل تاني.

كانت تعلم جيدًا أسباب تحذيرات والدتها من زيارة خالتها، فخالتها هياتم كانت بطلة جميع أساطير العائلة المثيرة والمرعبة، تعرف وجهها، كانت تشبه والدتها كثيرًا، رأتها في الكثير من الصور بصحبة والدتها، كانت دومًا جامدة الوجه، لم تبتسم في أي صورة على عكس والدتها، تقف وتترك مسافة بينها وبين الآخرين وترفض أن يتعدى أحد على تلك المسافة، مسافة كافية لوقوف شخص بينها وبين الآخرين، ولم تذكر سببا لهذه المسافة.

تزوجت وأنجبت ثلاثة أطفال جميعهم ماتوا في عمر العام، زوجها لقي حتفه في ظروف غامضة... سقط من سطح بنايتهم مشتعلًا وحين وصلت الإسعاف كان قد تفحم بالكامل ومات، البعض يقول إنه انتحر، والآخرون يقولون إن هناك جسدًا مظلمًا كان يجري خلفه، كثرت الأقاويل حولها وبدأ الناس يبتعدون عنها وعلى رأسهم عائلتها.

حَمّلتها هيام أُختها سبب وفاة زوجها بعد زيارتها الأخيرة لها منذ خمسة أعوام، فمنذ أن حطت قدماها عند أُختها وزوج هيام مريض بمرض لم يستطع الأطباء تفسيره ومات في

ليلتِه الثالثة، ومنذ تلك الليلة انقطعت العلاقة بين هيام وهياتم، وبعد أشْهُر عرفت هيام بالصدفة أن أُختها انتقلت للعيش في القاهرة وعرفت العنوان ودونته في دفترها الخاص ربما تحتاج له يومًا ما، وقبل أن تسافر خلود نقلته من دفتر والدتها خلسة لعلها تحتاج له، ولكن خلود كانت تحمل لخالتها ذكريات جيدة على عكس والدتها فقد كانت دومًا تحنو عليها وتخبرها بأنها تشبهها كثيرًا حتى إنها قالت لها في إحدى المرات إنها ابنتها، كانت تعطيها دومًا الحلوى على عكس أخيها الأصغر، حلوى لها مذاق خاص لم تتذوق مثله قط.

أقنعت نفسها بأنها ستقضي فقط ليلة واحدة عندها وفي الصباح ستغادر دون رجعة لها حتى لا تُحْزِن والدتها، دخل التاكسي شارعًا مظلمًا ضيقًا في ضواحي الجيزة وأخبرها أن العنوان في نهاية هذا الزقاق.

أخذت خلود حقائبها وسارت نحو بناية في زقاق ضيق مظلم هادئ يخلو من الأصوات، دخلت البناية تتحسس في الظلمة فأخرجت هاتفها وأشعلت الكشاف ثم سارت على ضوئه وصعدت إلى الدور الثالث حيث تقطن خالتها في الشقة الأخيرة على اليسار.

تعجبت من هدوء المكان كأنه مهجور بلا حياة لا يسكنه أحد، لم تسمع أي أصوات صادرة من أي شقة، فقط خطواتها هي من تشارك سمعها، وقفت أمام الشقة... كانت تشعر من حين لآخر بأن هناك من يقف خلفها ولكن حين تنظر لا تجد أحدًا، ربما تهيؤات بسبب الظلمة والهدوء، ضغطت زر الجرس فسمعت صوته يرن من الداخل كان يشق صمت المكان، لا أحد يجيب، لا صوت لوقع خطوات نحو الباب، انتظرت قليلًا ثم عاودت الكرة مرة أخرى، حينها فُتح الباب فجأة وجاء صوت من خلفه لامرأة متوارية خلف الباب.

_مين؟

_أنا خلود يا خالتو هياتم، فكراني؟ بنت أُختك هيام.

_إطفي نور موبايلك ده مدايقني.

تفاجأت خلود من طلب خالتها فاضطرت للانصياع؛ فقدماها تؤلمانها وترغب في بعض الراحة.

اتسعت فتحة الباب وظهرت من ورائه خالتها هياتم تبتسم وهي تحمل بيدها شمعة تنير العتمة التي تملؤ الأرجاء وهي تقول:

_أهلا يا خلود، إتأخرتي ليه؟ دا أنا مستنياكي من بدري.

وهي تحتضنها.

كانت كما هي بنفس الملامح التي تشبه والدتها، ولم تغير الأعوام بها أي شيء.

فقالت خلود في تعجب:

_هو حضرتك عارفة إني جايه؟

أشارت لها خالتها بالدخول وساعدتها في إدخال حقائبها للداخل وأغلقت الباب خلفها وهي تقول:

_ ولاد الحرام دايمًا قاطعين الكهرباء، أكيد إنتي تعبانة من السفر، والقطر اللي إتعطل دا بوظ الدنيا، خلي شنطتك هنا وهتلاقيهم في أوضتك لما تدخلي.

كانت خلود تستمع لها في تعجب، كيف عرفت كل هذا ووالدتها لا تحدثها منذ أعوام؟

فأكملت هياتم كلامها:

_ماتقلقيش أمك كلمتني وحكتلي كل حاجة وطلبت مني أستناكي.

تساءلت خلود في نفسها: ماما ماتعرفش إني أعرف العنوان ومش بتكلم خالتو من سنين وكمان هي اللي حذرتني إني أروح!!

شعرت بأن هناك شيئًا ما لا تفهمه.

أشارت هياتم لها بإصبعها أن تتبعها وهي تسترشد خطاها بضوء الشمعة فتبعتها خلود تتأمل الأرجاء بضوء الشمعة وهياتم تستطرد:

_أنا أعرف كل أخباركم، وعارفة إن أمك بعدت عني علشان شكت إني أنا السبب في موت أبوكي، بس أنا لسا بحب أُمك وهتتأكد من دا لما تشوف تعاملي معاكي.

ازْدَردت خلود ريقها من كلمات خالتها التي تعرف كل شيء ولم تجب، والحقيقة أنها كانت في حالة من التعجب والاندهاش.

أثاث الشقة متهالك بالكامل وقديم ولكن الغريب الغبار والأتربة التي كانت تغطي كل شيء والأركان المليئة بخيوط العنكبوت، وكأن الشقة مهجورة ولم تنظف لأعوام كما أن جوها بارد بشكل لا يحتمل كشتاء ديسمبر ويناير على عكس الجو الخارجي في الشوارع التي تحمل أجواء سبتمبر الخريفية، كيف تتحمل العيش في مكان كهذا؟!

سألتها خلود بتعجب:

_ هي الشقة مليانة تراب وباردة كدا ليه؟

أكملت هياتم طريقها دون أن تجيب على سؤالها.

حينها توقفت خلود أمام باب غرفة جانبي تأملته في صمت. كانت البرودة التي تخرج منه توحي بأنه قطعة من الثلج برودته تفوق أرجاء الشقة، وفي تلك اللحظة قالت خالتها:

_ لسا ميعادها، ماتستعجليش قريب هتاخدي مفتاحها وتفتحيها.

لم تفهم خلود من كلامها شيئا، ولكنها تعلم غموض خالتها، واعتادت عليه فأكملت الطريق خلفها دون اهتمام تتوخى الحذر في خطواتِها حتى لا تتسخ ملابسها بالأتربة.

في تلك الأثناء كان هناك صوت وقع أقدام يأتي من خلفها ويزداد، كلما اقترب منها شعرت بالفزع فهي تعرف أن خالتها تسكن في المنزل وحدها.

استدارت ببطء تنظر خلفها تبحث عمن يلاحِقها، فلم تجد أحدًا خلفها، عادت تلتفت مرة أخرى وهي تلتقط أنفاسها المتقطعة حينها صرخت في فزع حين وجدت خالتها تقف أمامها مباشرة وضوء الشمعة مسلط على وجهها الجامد فهدأتها خالتها بابتسامة كشفت عن أسنانها اللامعة بضوء الشمعة.

_ماتخافيش يا خلود، أنا خالتك.

_أنا آسفة يا خالتو، أنا بس حسيت إني في صوت خطوات ورايا خضني.

ضحكت هياتم وهي تربت على كتفها وتقول:

_ماتقلقيش هتتعودي على كل حاجة هنا ومش هتكتفي بليلة واحدة زي ما إنتي فاكره، وفي الليلة التالتة هتبقي واحدة مننا.

ثم أدارت مقبض باب غرفة ظهر أمامها فجأة... لم تلمحه خلود منذ دقيقة، وفتحته، فأصدر صريرًا مزعجًا.

_دي أوضتك، هتحبيها، بس افتكري حاجة مهمة جدا.

وهي تقبض على رسغها الأيسر بشدة وتحملق عينيها في وجه خلود فارتعش جسد خلود في رعب وساورها شعور بالهرب من هذا المكان فأكملت هياتم بوجه جامد:

_ إياكي تنضفي بالليل، دا بيدايقهم جدًّا.

ثم تغيرت ملامحها سريعا وعادت ابتسامتها وهي تقول:

_أهلًا بيكي يا خلود.

كان قلب خلود يرتجف من الرعب، ترغب في الركض وترك هذا المكان ولكنّ هناك شيئًا يوقفها لا تراه كحائط

خراساني، قدمها تدفعها للداخل وتصبح مكبلة حين تفكر في الخروج ولا تقوى على الحراك.

ازداد ثقل رأسها وشعورها بالإنهاك فدخلت غرفتها مستسلمة ولكن استوقفها شيء غريب هناك مصباح في الغرفة منير يخرج ضوءًا أصفر خافتًا، الإضاءة ضعيفة لا تكفي الغرفة ولكنها تدل على وجود تيار كهربي ثم تذكرت صوت جرس الباب الذي سمعته من وراء الباب، لماذا إذن أخبرتها بأن التيار منقطع وأشعلت شمعة؟

تزاحمت التساؤلات بداخل رأسها تضغط عليها طلبًا للأجوبة التي لم تجدها، شعرت ببعض الندم أنها لم تستمع لتحذيرات والدتها ولكنها هي أيضًا من أخبرت خالتها أنها قادمة وطلبت منها أن تستقبلها.....

كل شيء أصبح غريبًا فجأة.

تجولت في الغرفة تستكشف معالمها كان أثاثها لا يختلف عن الباقي بالخارج مليء بالأتربة... وجدت فراشًا وتسريحة بمرآة الأتربة حالت انعكاسها.. وخزانة، فتحت الخزانة وهي تتذكر حقائبها بالخارج لتفاجأ بها أمامها في الخزانة.

هاجس الهروب يزداد، لا شيء بها مريح بما فيها خالتها. التساؤلات تنخر رأسها، كل شيء هنا غريب، أخرجت حقائبها من الخزانة وتوجهت نحو الباب عازمة على الهرب فتجد

الباب مغلقًا. حاولت فتحه ولكنه موصد من الخارج، هل خالتها أغلقت الباب عليها؟، إذا صاحت فستسمعها خالتها، الساعة أصبحت الرابعة صباحًا رأسها ثقيلة وجسدها منهك وازداد وهنًا حين وجد الفراش أمامه، أقنعت نفسها بالنوم بضع ساعات لحين شروق الشمس وفي الصباح ستغادر دون عودة.

تقدمت نحو الفراش فوجدته ممتلئًا بالأتربة، هل حقًّا ستنام على هذا الفراش؟

بدلت ملابسها بحذر حتى لا تمتلئ بالأتربة ورفعت الغطاء من فوق الفراش لتنفض عنه الغبار، وما إن رفعته في الهواء لتنثره حتى لمحت خلفه جسدًا أسودَ طويلًا دفعها على السرير والغطاء فوقها وهو يصرخ في وجهها قائلًا:

_ قالتلك ماتنضفيش بالليل.

صرخت خلود وتدثرت في الغطاء بفزع ترتجف ليأتي صوت خالتها في الخارج:

_نامي يا خلود.

فغطت خلود في سبات عميق دون أن تشعر بشيء.

استيقظت في اليوم التالي وهي تنتفض من فراشها في فزع متسائلة: هو اللي حصل إمبارح دا حلم ولا حقيقي؟!

ولكنها تفاجأت بشيء حين لمحت الغرفة لامعة على عكس الأمس، كل شيء نظيف لا وجود لذرة غُبار عليه تعجبت: هل دخلت خالتها ونظفت الغرفة أثناء نومها أم أن ما عاشته بالأمس كان بالفعل كابوسًا مفزعًا.

خرجت تبحث عن خالتها فوجدتها في المطبخ تعد لها الإفطار:

_ يلا يا خلود علشان تفطري.

_ حاضر يا خالتو.

كانت تمسك هاتفها وتحاول الاتصال بشهاب لتخبره أنها ستلقاه في الجامعة كما اتفقا أمس ولكن الهاتف لا يستجيب لأمرها.

_مافيش شبكة هنا يا خلود، يلا تعالي علشان تفطري وتلحقي مواعيدك.

تناولت خلود بضع لقيمات بحذر وهي تنظر لخالتها التي تراقبها وهي تأكل دون أن تتناول لقمة واحدة، ثم نهضت في عجالة فاستوقفتها خالتها بكوب من المشروب الساخن كان لونه كالماء العكر.

_ اشربي ده، دي أعشاب هتخفف الوجع اللي حاسه بيه.

بالفعل كانت تشعر بأوجاع في كامل جسدها لولا حاجتها

للخروج لمقابلة شهاب والبحث عن سكن آخر لما فارقت الفراش، تجرعت المشروب في انصياع دون أن تنبس بكلمة وكأن نظرات خالتها تسيطر عليها، أنهت المشروب وبدلت ملابسها واستعدت للخروج، خرجت ونسيت أمر حقائبها ولم تتذكره إلا وهي عند بوابة الجامعة حيث يقف شهاب. فأخبرت نفسها أنها ستعود من أجلها وأسرعت في خطواتها نحو شهاب.

_أنا آسفة إتاخرت عليك؟

_ هو تليفونك باظ ولا إيه؟! كل ما أحاول أتصل بيكي المكالمة تفصل.

قصت عليه تفاصيل أمس بأكملها بما فيها أحلامها وأن الشقة ليس بها شبكة، فوعدها أن يبحث معها اليوم عن سكن آخر ويذهب معها لتحضر حقائبها من هناك.

تجولا في الجامعة سويًّا وهو يريها كل ركن بها، حفظت كل ركن بها ونقلت جدول محاضراتها وعرفت أماكن قاعات المحاضرات إلى أن انتهى يومها الأول، فأخبرها بأن الوقت تأخر ويجب أن تبحث عن سكن سريعًا قبل أن تنقضي ساعات النهار ثم أخذها وذهب إلى أحد مساكن المغتربات ولكن لم تجد، ذهبت إلى آخر فأخبروها أن الغرفة ستصبح فارغة بعد أسبوع، بحثت لدى السماسرة ولم تجد شيئًا

يناسبها، قارب اليوم على الانتهاء وحلت الظلمة فأخبرها شهاب بأن تتحمل ليلة أخرى عند خالتها وغدًا سيحاولان البحث مرة أخرى.

أوقف سيارة أجرة وصعدت بداخلها ثم ودعها وغادرت على موعد للقاء في الغد.

توقفت سيارة الأجرة عند كشك جانبي وقال السائق:

_ بعد إذنك يا آنسة أنا هنزل اشتري حاجة من الكشك بسرعة وجاي.

سمحت له خلود وجلست تراقبه من الشباك حينها شعرت بشيء جالس بجوارها فالتفتت تنظر إليه فوجدت امرأة ترتدي السواد تُدير نصفها العلوي نحوها ووشاح أسود يغطي رأسها.... لا ترى لها ملامح ثم صرخت في وجهها.

حينها صرخت خلود فجأة في فزع وهي تستيقظ على صوت السائق:

_ يا آنسة يا آنسة، إحنا وصلنا للعنوان بتاع حضرتك، إنتي سمعاني؟

لم تكن تستوعب كلماته وكأن صوته يأتي من فراغ بعيد، هزت خلود رأسها إيجابًا وهي تمسك رأسها من شدة الصداع لا تدري ماذا حدث منذ بضع دقائق ولا تذكر شيئًا من حلمها ولا

تذكر حتى أنها أخبرت السائق بعنوان وجهتها.

هبطت من السيارة وتوجهت إلى شقة خالتها كانت خطواتها تزداد سرعة وهي في طريقها للشقة كأنها تجذبها بطريقة ما.

فتحت خالتها باب الشقة بالشمعة وكأن مشهد الأمس يُعاد مرة أخرى، ولكنها لم تندهش اليوم وذهبت إلى غرفتها في استسلام، آلام رأسها وجسدها تزداد بشكل لا يحتمل، ألقت جسدها على الفراش وغطت في النوم.

كابوس تلك السيدة لم يتركها في ليلتها الثانية كلما غفت تراها أمامها تمسك بيدها وتصرخ بوجهها تراها تنام بجوارها وأحيانا تجلس وتقف أمام الفراش وتسير على السقف كانت كوابيسها جميعًا مفزعة وصوتها الصارخ يثقب الآذان، فارق النوم جفون خلود وتكومت في فراشها ترتجف.

نظرت إلى ساعة هاتفها وجدتها الثانية صباحًا إلى أين ستذهب الآن أشعلت كشاف هاتفها ليؤنسها ثم شرعت في قراءة آية الكرسي، حينها سمعت طرقات عالية على باب الغرفة وجاء صوت خالتها في الخارج تصيح بغضب:

_مش هتنفعك يا خلود.

ظلت خلود تتمتم بالآيات ولم تستسلم ومعها تزداد طرقات خالتها على الباب وصيحاتها أيضًا.

وضعت خلود يدها حول رأسها المؤلم تمنت أن تستيقظ من هذا الكابوس وينتهي لتجد نفسها في حضن والدتها وبالفعل استيقظت خلود بعد أن انقضت ليلتها الثانية.

آلام جسدها أصبحت لا تحتمل، لا تقوى على الحراك، شعرت بالإعياء وثقل رأسها... حينها دخلت خالتها عليها الغرفة:

_ شكلك تعبانة النهارده، بلاش تخرجي أحسن، وما تقلقيش بالليل كل التعب دا هيروح.

استسلمت خلود لاقتراح خالتها وفضلت البقاء بعد أن عجزت عن النهوض من فراشها.... حاولت أن تتصل بشهاب لتخبره ولكن دون جدوى.

أكملت يومها على الفراش وخالتها تحضر لها مشروب أمس من حين لآخر حتى اعتادت خلود مذاقه المر ورائحته المقززة التي تحملتها بصعوبة أمس والآن بات سائغًا مقبولًا بل محببًا بالنسبة لها.

انقضت ساعات النهار وحين شارفت الظلمة شعرت بثقل جفونها ثم سقطت في النوم.

الساعة الثالثة صباحًا استيقظت خلود على أصوات صاخبة فتحت عينها فوجدت المرأة المتشحة بالسواد تقف بجوارها... لا لم تكن واحدة بل خمس يلتففن حول فراشها وينظرن إليها وهن يتمتمن بكلمات بصوت عالٍ، كلمات مبهمة لم تفهمها خلود وفجأة وجدت خالتها تقف بينهن وهي تحمل شمعتها تتمتم معهن بنفس الكلمات بصوت عال على نفس الوتيرة ثم مالت على خلود ووضعت في كفها مفتاحًا.

سارت خالتها وتبعتها السيدات وخلفهن خلود تسير في انصياع تام تمسك بالمفتاح وباليد الأخرى هاتفها. تبعتهن إلى أن توقفت هياتم أمام الغرفة الباردة المغلقة واصطففن على الجانبين وهن لا يزلن يتمتمن بكلمات بدت كأنها تعويذة.

فتحت خلود الباب ودخلت وضغطت في هاتفها على صفحتها في الفيس بوك وبدأت إذاعة **بث مباشر** لها وهي تثبت الهاتف على منضدة أمامها ثم دونت على ورقة بيضاء كلمتين وصعدت تقف على مقعد خشبي، وخالتها والسيدات يلتففن حولها ووتيرة أصواتهن تعلو وتعلو وخلود تضع حول عنقها مشنقة كانت موجودة كأنها في انتظارها ثم تشدها حول عنقها وتركل بقدمها المقعد أسفلها ليسقط جسدها مرتعشًا.

اليوم التالي

"تريند اليوم"

الفتاة التي انتحرت في بث مباشر على صفحتها الشخصية

شاهد الفيديو من "هنا"

أخبار اليوم

فتاة الشقة المهجورة

" طالبة في جامعة القاهرة تنتحر أمام الجميع في بث مباشر "

انقر "هنا لقراءة المزيد"

أمس تم العثور على جثة فتاة تدعى خلود مصطفى من محافظة المنيا في كلية آداب جامعة القاهرة، انتحرت أمس في بث مباشر على صفحتها الشخصية في إحدى الشقق المهجورة في ضواحي الجيزة، وقد عثر فريق البحث على جثتها في الشقة اليوم، وبعد التحريات وجدوا أن صاحبة الشقة سيدة تدعى هياتم متولي وأن تلك السيدة تكون خالة الفتاة المنتحرة.

كما تم العثور على ورقة دونت عليها الفتاة قبل الانتحار كلمتين وهما "من أجلك" كما تم العثور أيضا على جثة متحللة في نفس الغرفة التي انتحرت بها الفتاة تعود إلى مالكة الشقة والتي أوضح الطب الشرعي بعد فحصها أنها توفيت منتحرة أيضا منذ ثلاثة أعوام، وجارٍ التحقيق في الواقعة وجمع الأدلة.

اليوم التالي

"أخبار اليوم "

اكتشافات جديدة وغامضة في قضية فتاة الشقة المهجورة

انقر "هنا لقراءة المزيد"

في أثناء التحريات والبحث في قضية الفتاة المنتحرة في بث مباشر والتي تدعى خلود عثرت قوات البحث على أجندة تحمل مذكرات مالكة الشقة المدعوة هياتم متولي والتي دونت فيها الكثير من أسرار حياتها وأوضحت بها أن أختها المدعوة هيام متولي والدة خلود هي من أجبرتها منذ خمسة أعوام على ترك المنيا والابتعاد بدلًا من فضحها أمام الجميع بعد أن اكتشفت علاقتها الغرامية القديمة مع زوجها مصطفى فوزي، وعلى غرارها قامت هياتم بالتخلص من مصطفى مستعينة بالسحر السفلي لتنتقم منه بعد أن أوهمها بحبه لها

ثم تركها وظل يتهرب منها لأعوام حتى إنه اضطر للاعتراف لزوجته بتلك الخيانة لتساعده في التخلص منها وحين فقدت الأمل في أن يعود إليها لم تجد أمامها سوى الانتقام منه ومن نسله. وبالفعل لقي مصطفى فوزي حتفه في ظروف غامضة منذ خمسة أعوام. وقررت أن تهب نفسها وجسدها إلى إحدى التعاويذ الخاصة بالسحر السفلي والتي دونتها في مذكراتها للانتقام منه، ثم قررت الانتحار بعد موته بعامين بعد أن قضت عامين من الحزن والكمد عليه والذي أدى إلى قرار انتحارها منذ ثلاثة أعوام لتعود مرة أخرى إلى عالمنا للانتقام من نسله وتأخذ خلود، ويبقى السؤال هل الأمر انتهى إلى هنا أم أن هناك المزيد؟

*****

شتاء ديسمبر

جلست كعادتي المسائية على أحد مقاعد البار وأشرت بسبابتي إلى رجل البار ذي الوجه الطولي والعيون الغائرة والذي ألفته أكثر من وجهي في المرآة، فلبى طلبي المعتاد على الفور دون تردد بكأس من مشروبي المفضل الذي لا أتجرع سواه كل ليلة بخلاف عدد الكؤوس الذي يتناسب عكسيًّا مع مزاجي اليومي.

كان هذا المشروب يتكون من مجموعة لا بأس بها من كوكتيل الكحول بنكهات مختلفة تمتزج سويًّا في تناغم لتنتج في النهاية مذاقًا يعجبني، التقطت الكأس والتي تبدو كأنها في انتظاري كل ليلة وتناولت منها رشفة على هوادة أستمتع بمذاقها، وبينما أنا ذائب في نكهتها التي لا أسأم منها أبدًا جلست على المقعد المجاور لي فتاة خطفت أنظاري في لمح البصر.... تبدو في مجملها كباقي فتيات الملاهي الليلية، ترتدي المثير من خزانتها وتضع مكياجًا صارخًا كألوان أضواء الملهى.... إلا من شيء... ما إن لمحته بها جذبني إليها... شيء أحبه... دققت النظر لها بطريقة غير مباشرة دون أن تكشفني وأنا أحاول تتبع ذلك الشيء ولكن الكحول يقف حائلًا أمامي

مشوشًا تركيزي.

ليتني أعرف ماهيته، نظرت الفتاة صوبي وابتسمت ابتسامة جريئة لم أستطع مقاومتها... جذبتني أكثر نحوها ولم أجد أمامي سوى أن أستدير تجاهها لأنظر تلك المرة لها بشكل مباشر.... بادلتها الابتسامة وأشرت لرجل البار المألوف متجاهلًا نداءه باسمه الذي يغيب عن ذاكرتي دومًا لا أدري هل هذا بفعل الكحول أم أنه اسم غريب.... ربما كان هاني على ما أذكر أو ماني أو داني.... تشابه الحروف صعّب الأمر أكثر في تذكره.

لبى طلبي على الفور وأحضر كأسًا من مشروبي الخاص للفتاة وبدأنا نهمس في خفوت لا يسمعه سوانا بحديث يصبغه الكحول والمتعة، ألقي على مسامعها كلمات الغزل وتتعالى معها ضحكاتها العالية والتي لولا صخب الموسيقى العالية في الملهى لوصل صداها للجانب الآخر للأرض.

أحببت موجات ضحكاتها وتجديف إطرائي في بحارها الهائجة، في النهاية جميعهن واحد، ستخضع أمواجها الثائرة وتهدأ تحت وطأة سفينتي التي تعتلي بحارها، فقط لبضع دقائق وينتهي بعدها كل شيء ويختفي وجهها من ذاكرتي للأبد.

في تلك الأثناء مر من خلفي عطرها الذي يسبق خطواتها دومًا ببضع خطوات، عطر عالق بذاكرتي كالحجر الساكن في

قعر المحيط لا يهتز ولا تجرؤ هلوسة الكحول المساس به..... ثوانٍ ومرت صاحبته بصحبة رجل آخر.... رجل آخر تتشبث بذراعة، داعب الكحول قعر ذاكرتي الراكد فثارت الذكريات في وجهي صارخة.... وتغافلت عن الفتاة التي تجلس بجواري متجاهلًا حديثها وضحكاتها وعيناي ما زالتا عالقتين بصاحبة العطر فهبت الرياح على سحابة الذكريات المتجمعة فوق رأسي وهطلت علي كالصيب، لمحتها تنظر نحوي وأنا معلق عيني بها فرفعت كأسها لتلقي علي التحية بابتسامتها التي تسرق الفؤاد فرفعت أنا الآخر كأسي وأومأت برأسي أُبادلها التحية ثم استدرت لأطلب المزيد من الشراب.

كأس تلو الأخرى تلو الأخرى حتى جهلت عددهم، أفرغ الكأس على جرعة واحدة متدفقة في فمي، كنت أسكب بداخلي الكحول لعله يمحو ذاكرتي ولكنه ماكر يأتي دومًا بما لا أريد، وعلى الرغم من ذلك كان هو رفيقي الوفي منذ تلك الليلة المشؤومة.

بات صديقي الذي أهرب إليه لينسيني فعلتي الدنيئة بها فيذكرني هو بكل لحظاتنا سويا!...

سحقًا!

كنت أقاوم النظر لها ولكني أعترف بأني ضعيف، نظرت نحوها مرة أخرى فوجدت رَجُلَها يطوقها بذراعه ويضمها

إليه..... تلك كانت ضمتي لتميل برأسها على صدري أنا وتتشبث بذراعي أنا... كيف تبدلت الأيام؟ في الماضي كنت أنا رَجُلُها الوحيد، حبيبها ورفيقها حتى وصلنا ليوم الزفاف.... التقطت الكأس وقذفت الكوكتيل بفمي ما إن تذكرت ذلك اليوم.... كان ذلك اليوم من المفترض أن يجمعنا كجميع النهايات السعيدة التي تكون خاتمتها فستان زفاف أبيض وبدلة سوداء... ولكننا لم نحصل على ذلك اليوم بتلك النهاية السعيدة إنما بات ذلك اليوم شاهدًا على أسوأ ذكرى لفراقنا.

تركتها بفستانها الأبيض وتخليت عنها، هرعت إلى ملهى ليلي هربًا من حفل الزفاف... تركتها بالخزي وحدها تواجه المدعوين.

كيف أقدمت على فعلتي هذه؟!

كم كنت شابًّا طائشًا لدي رُهاب من كلمة " المسؤولية" والتخلي عن الحرية الكامنة في لقب " عزوبية".

خمسة عشر عامًا منذ ذلك اليوم المشؤوم لم أتصالح مع نفسي قط، لم تذهب صورتك من أحلامي ورائحتك من أنفي افتقدتك كثيرًا، ولكني كنت ضعيفا لم أستطع مواجهتك فظللت أهرب من الأعين مع رفيقي الكحول لأنفرد بالسكر مع ذكرياتنا معًا، لا أنكر أني كنت أبحث عنك في كل أنثى أراها ولا يجذبني إليهن سوى من تحملن بعضًا من ملامحك لتنفردي

أنتِ بذاتك واحدة في الكون.

أعترف بأنك كنتِ ربيع قلبي المبهج الذي يملؤني بالحب والحياة، ومنذ رحلتِ عن عالمي لم يسكنّي سوى شتاء ديسمبر القارص..... كنت ألمح الفصول جميعها تتعاقب بين وجوه الآخرين ولكني فقدت الإحساس بها وهجرتني بفراقك.

كم أكره الكحول وهو يرغمني على التذكر بدلًا من النسيان، ألم يكن وظيفته الحقيقية أن ينسيني أحزاني؟! أم أن جودته أصبحت رديئة؟!

ولكن لأكون على حق أنا أعشقه لهذا السبب وأصبحت أنهي يومي به لأغفو بصحبتك... آسف لأني خذلتك عندما رأيت شبح المسؤولية يطاردني من بعيد ليجزع قلبي حينها وأهرع بحثًا عن ملاذ آمن أختبئ بين جدرانه.... فأجد ملاذي الآمن في النهاية ما هو إلا بئر عميقة أظلمتها الوحدة والشوق وألم الضمير.

أشكر الله أن في ذلك الوقت لم يكن هناك ما يسمى بالترند، وإلا لكنت حينها أتصدر مواقع التواصل الاجتماعي وهم يزفون خبري ويرجمون صورتي التي يعلوها جملة:

" العريس النذل الذي تخلى عن عروسه يوم الزفاف وتركها وحيدة بالأبيض ".

أخذت رشفة من الكأس فسمعت الفتاة التي بجواري تصرخ غاضبة من تجاهلي وتنهض وتغادر.... يبدو أنها كانت تثرثر لفترة، حينها علمت ما جذبني نحوها، شعرها الأسود القصير الذي يشبه شعرك.

لمحت وجهي في زجاج الكأس فوجدت الشيب يغزو لحيتي وشعر رأسي، اجتاحني الشيب حين فقدت الأمل في إصلاحي، حين وجدتني أنانيًّا وأهدر نعمي، حين أصبح قلبي كالثلج وأضعت دفأك لي.... حين تركتك وحيدة تتلقين الرصاص من كل اتجاه.

ها أنا قابع أمامك وحيد بدونك... توهمت المكسب ولم أحقق سوى الخسارة الفادحة... خسارتك كانت خسارة لذاتي وأحلامي وأمانيّ.

الآن أراك بين ذراع الشهم الذي أوفى بعهده لك ومحا قذارتي من ذاكرتك، لأعيش أنا وحيدًا بصحبة ذكريات بدايتها تسعدني ونهايتها تقتلني بخنجر مسموم.

في صحة الظلمة التي اخترتها بيدي وهنيئًا لكِ سعادتك مع الشهم.

*****

المعرفة عين القبح

وقف على المنصة بوقاره المعهود وشعره الرمادي المهندم بين هتافات الجماهير الغاضبة، يرتدي بدلة بلون شعره زادت ملامحه الحادة وسامة والتي تخطى ثمنها راتبًا سنويًّا لطبيب بشري.

طرق بطرف سبابته على المايك ليتأكد من أدائِه وهو ينظر للحشد الثائر أمامه بأعمارهم المتفاوتة ما بين السادسة عشرة إلى الثلاثين، فسمع طرقاته في المكبر.

تنحنح فالتفتت العيون نحوه وهدأت الأصوات وما إن لاحظ انتباههم إليه ابتسم ابتسامته النرجسية اللعوب التي يعرفها مساعده جيدًا، والذي يقف في الخلف وهو لطالما لعب دور "السقساق" عصفور التمساح، وظيفته الوحيدة هو أن ينظف خلف وجباته الدسمة فقط.... ثم شرع في حواره قائلًا:

_ أعلم أنكم غاضبون وثائرون... ولكن نحن هنا لحمايتكم وسعادتكم.

نظر الشباب إليه في تعجب واستنكار فأردف:

_ماذا ستنالون من المعرفة؟! المعرفة ما هي إلا عين القبح... حين تدركون حقيقة الأمور تتبخر المتعة..... أخبروني؟... ما هي مطالبكم الحقيقية؟.. المعرفة أم الحياة السعيدة؟! صدقوني لن تنالوا من المعرفة سوى هلاك كل ما هو جميل حولكم.... ستتحول حياتكم إلى جحيم وتفقدون حس المرح إلى الأبد.

صاح بعض الثوار في اعتراض وازدادت وتيرة التوتر والهمهمة بينهم فاستطرد حديثه بنعومة ملطفًا الأجواء بكلمات تمس أوتار القلب:

_أنتم هنا أبناؤنا وأحفادنا... لكم منا كل الحب والتقدير.... نحن نقدر جهودكم في المساعدة ولكن دعوا حقيقة الأمور لأُولي الأمر منكم.... من خلقوا بعين ترى القبح لتريكم أنتم الجمال...

ثم طرق على المنصة بحزم وهو يقول:

_ نحن هنا لإسعادكم وتحقيق أحلامكم..... الحياة يا رفاق تعاش مرة واحدة... فلماذا نهدرها بعبث البحث عن المعرفة والتي لن نجني منها سوى الشك؟! تلك الكتب التي أحرقناها كانت كالوباء القاتل الذي سيدمر شباب بلادنا فوجب التخلص منه.... هل حقا تريدون فقد عقولكم في الشك

والتشكيك في مصداقيتنا وحبنا لكم؟!

هز الجمع رؤسهم نفيًا فأكمل بثقة:

_هذا ما توقعته من أبنائي ذوي العقول المنيرة..... نحن هنا لكي نحقق أمانيكم ولكي نسعدكم ونوفر لكم سبل الراحة والعيش الكريم... رجاءً اتركوا المعرفة جنبًا وانعموا بحياتكم اليوم.

ثم تعالت نبرته:

_ من اليوم ستزداد البرامج الترفيهية وبرامج اكتشاف المواهب... فأبنائي يملكون منها الكثير، أما الألعاب فسنعمل على تطويرها بناءً على رغباتكم وسنضاعف من أجلها سرعة الإنترنت لثلاثة أضعاف.

هلل الجمع من حوله في سعادة وهو يكمل وعوده:

_وسنلغي المواقع التي تم حجبها وسنبذل قصارى جهدنا لإرضائكم وإزالة عنكم كل قبح.

صفق الجميع من حوله وهم يهتفون باسمه ومن بينهم واحد يقف صامتًا منكس الرأس حينها لكزه صديقه في كتفه وهو يصفق بحرارة وقال في تعجب:

_ أتكره الفرح يا كئيب؟!

فأجابه بائسًا:

_يهزؤون بنا و.....

ثم اختفى وسط الزحام بعد أن شعر بقبضة على كتفه تسحبه للخلف ليضيع وجهه البائس بين الوجوه الضاحكة.

*****

خيبات أمل

في الآونة الأخيرة أصبحت حياتهما حطام سفينة يطفو على سطح محيط من المشكلات، فما إن سارا خطوة سويًّا حتى تعرقلا في مشكلة، تعالت الصيحات وشقت عنان السماء وقبلها حنجرتهما وسقط قناع الحب معلنًا وجهه الحقيقي الخفي، واجتاحت عاصفة من الغضب الأجواء.... صرخت في وجهه وهي تلوم وتتوعد... ستتركه اليوم، حياتها معه أصبحت محالة... لن تقوى على تحملها أكثر من ذلك.

تركته خلفها بين صرخات ودموع وهرولت إلى غرفة النوم وهي تركل الباب خلفها بشدة أصابت الحوائط والجدران بتصدع وشروخ كالتي ملأت أحلامها وواقعها معه.

وقف خلف الباب يتوسل لها بدموعه ويخبرها بأن كل شيء سيصبح على ما يرام.... سيتغير من أجلها للأفضل أو بالأحرى سيصبح الشخص المثالي الذي لطالما حلمت به أن يكونه.... لن يكرر أفعاله التي تكرهها مرة أخرى، أخرج مبرراته وتوسلاته المعتادة باتقان دون أن يفقد واحدة.... عام بأكمله وهو يكررها دون سأم أو تغيير حتى أصبحت عادة في ذاكرته الدائمة لا يبذل بها أدنى مجهود ليفعلها. فقط يستحضر

الموقف والباقي يأتي تباعًا بمجهود ذاكرته.

ظل يطرق الباب وهو يستجديها لتفتح له الأبواب الموصدة.. ولكنها لم تفعل، استدار وجلس موليًا ظهرة للباب وقد بدأ نحيبه يهدأ بعض الشيء، وما إن سكن صوته حتى تعالى مرة أخرى في نوبة من الضحك لا تنتهي.

قهقهته كانت خشنة دبت في صدرها الرعب والتعجب... ترى ماذا أصابه؟

تحشرج صوته من ضحكاته العالية لحظات إلى أن هدأ ثم قال في صوت غليظ وكأن شبحًا قد تلبسه:

_ لا تصدقيني، لا تصدقي صوت توسلاتي ولكن صدقي نبرتي هذه.... تلك النبرة ستخبرك بالحقيقة.... أنا كاذب بارع، دومًا أخدعك بدموع التماسيح التي أذرفها حين تنوين تركي، تلك الدموع المخادعة ما هي إلا كذبة تصدقينها وتبقين.

ألبستك خاتم الزفاف بأصغر مقياس ليناسب أصابعك الرقيقة ولم أكن أدرك أنه سيطوق رقبة الحب بيننا ويخنقه إلى أن تجحظ عيناه ويلفظ أنفاسه الأخيرة وأنا أراقبه من بعيد مقيد الأيدي بسلاسل لا تحمل أقفالًا يا إلهي!!!!.....لقد أصبحت أعجز عن فهمي لذاتي الآن.

فقد أنطق بوعود، وعود، وعود لا تنتهي..... دومًا أنت النصف المتحرك وأنا الساكن، كنت أظن هذا هو التوافق الذي يجمعنا سويًّا هكذا يكمل بعضنا بعضًا إلى أن وجدت نفسي مرغمًا أنا الآخر على التحرك.

ولكني أنا الساكن.. أنا الساكن في نظرك كجبل ثلجي لا يذوب أبدًا بحرارتك، تركليني في كل ثانية لعلي أحرك ساكنًا، لعلي أصنع ذاتي، لعلي أبحث في صندوق أحلامي المغلق حتى سئمتِ الركل.

أكره كوني خذلتك لهذا الحد، أعلم أني أضعت آمالك وأحلامك ومزقت جنتك بصحبتي إلى أشلاء.

والآن إليك الحقيقة يا حبيبتي، الحقيقة المُرة التي مررت حلقي في كل مرة أنظر بها لعينيك وأرى بهما نظرة خيبة الأمل، كم أرغب في مسحها هي وكل خيبات الأمل التي لحقت بنا وبددت أحلامنا سويا، كم أرغب في أن أعيد السعادة لوجهك الحزين.

تعالى صوت نحيبها في الجهة الأخرى ووصل إلى مسامعه ولكنه لم يهتم وأكمل:

_أريد أن أصارحك... كفاني تزييفًا للحقائق.... أنا يا عزيزتي شخص أناني يبحث عن إرضاء ذاته، أهرب من عالمك لأتملص من عبء مسؤوليتي تجاهك، أنا في خضم معركة

بداخلي لا تنتهي، أعلم أني في نظرك فاشل ولكني ما زلت أملك جبهتي في حربي التي لم تنته بعد.... أعلم أن طموحي تخطى السحاب سابقًا... ولكن الآن أستنشق ذرات تراب قبري بمفردي في الظلمة!... أبحث عن بصيص ضوء أسترشد به لعلي ألمح بداية درب النجاح فأطمئنك وأطمئن.

آسف لكوني خذلتك وخذلت نفسي، آسف لكوني أهدرت مجهوداتك ، آسف لكوني لم أكن الشخص الذي تمنيته يومًا، ولا أعلم إذا كنت سأكونه يومًا أم لا.

اسمعي كلماتي جيدًا الآن لأنها الأصدق... ربما سأضعف بعدها وأعود كسابق عهدي أتوسل بقاءك معي ولكن أنصتي واتبعي نصيحتي إذا شئتِ.

من الآن لك حرية المغادرة، لن ألومك إذا تركتني أخوض معركتي الوحشية بمفردي... فأنا أعلم أنك عانيت معي الكثير وربما لو كنت يومًا في موضعك هذا لغادرت منذ زمن بعيد، لذلك من فضلك غادري قبل أن أعود لوعيي.

ثم فجأة عادت دموعه مرة أخرى تتساقط وتعالت توسلاته لها:

من فضلك لا تتركيني، أعدك بأن كل شيء سيتغير وسيصبح على ما يرام، سأصبح شخصًا أفضل بوجودك معي فلا تتركيني.

حينها تركت حقيبتها التي شرعت في ترتيب ملابسها بها للتو بعد أن قررت الإنصات لنصيحته، ثم فتحت الباب وخرجت ونظرت في وجهه وهي تمسك يده وتقول:

_ سنخوض الحب سويا، فما زال بحوزتي بعض الأسلحة وقادرة على صنع المزيد.

*****

مزدوج الهوية

أسير بخطى حذرة بين أنقاض البيوت المبعثرة والحطام المتناثر، أصوات القنابل والصواريخ تصِّم أذني ورائحة البارود المختلطة بالدماء تزكم أنفي.

ما زلت أسير ببطء أترقب العدو القادم في أي لحظة وأتفادى أشلاء الجثث المتناثر حولي، ترسم لوحة مفزعة من اللون الأحمر المختلط بالتراب في مجزرة أجبرنا التاريخ على خوضها.

لأول مرة في حياتي أرى أجزاءنا الداخلية بذلك الوضوح، وأشعر برهبة الموت الذي يحيط بي من كل جانب، أعد أنفاسي ولا أعلم أيها سيكون لي الأخير ،أخطو أسفل سحابة الأدخنة المتصاعدة من الانفجارات بحذر متربصًا بعدوي أحاول أن ألحق به قبل أن يغدر بي، الركام أعاق وضوح رؤيتي إلا أنه ترك لبصري القليل يكفي لأرى على بعد بضع خطوات قليلة مني.

لمحت من بين الأدخنة على بعد ما يقارب ثلاثة أمتار ساترًا رمليًّا من ورائه تظهر قمة الخوذة، اقتربت منه بتأن لألحق بالمباغتة وأقضي عليه قبل أن يفعل هو، وما إن شعر

بي نهض مسرعًا والتفت تجاهي وهو يسدد فوهة سلاحه نحو رأسي، كان من الأعداء يرتدي نفس الزي المموه الكاكي ولكن بدرجة أفتح من درجة زي الكاتمة، وجهت سلاحي نحوه في هلع ثم توقفت فجأة

لحظة واحدة

وفجأة هدأت الأصوات من حولنا وكأننا لم نعد بالمعركة بل كنت معه هو في عالم تحوم حوله الأدخنة.

أعرف هذا الوجه جيدًا، لا بل أحفظه عن ظهر قلب هو صديق الطفولة وأخي والحقيقة ابن عمي " مروان "

عرفته منذ الوهلة الأولى حين لمحت نظرته المعتادة لي، نظرة تملؤها المودة والحب يبدو هو الآخر أنه عرفني تلاقت عيوننا في شوق وكلانا يبعد سلاحة عن وجه الآخر كدنا نتعانق لولا أن أدركنا زينا المختلف، تبدلت حينها النظرات من الشوق إلى الألم والعتاب.

يا إلهي لقد فتحت للتو صندوق ذكريات غطته الأتربة، ها هو ينفض غباره في وجهينا ويخرج ما يكتنزه بداخله.... في تلك اللحظة عادت ذاكرتي للخلف خمسة عشر عامًا سابقة، حين قرر والدي الطبيب الهجرة واستكمال دراسته وأبحاثه في الخارج واصطحبنا معه... كنت حينها في العاشرة من عمري كم كان وداع مروان حينها ليس بالشيء الهين بل كان من أصعب

لحظات الوداع.

تذكرت سهراتنا سويًّا التي كنا نقضيها في ملاعب كرة القدم كنت أعشق صحبته وأوقاتنا معًا، لقبته حينها بالعضلات لأنه دومًا كان يدافع عني، كانت أيامنا في ذلك الحين من أجمل الأيام، ولكن كل شيء تغير بقرار والدي بالهجرة، منذ ذلك الحين أصبحت محادثتنا عبر الإنترنت ومع مرور الوقت باتت قليلة حتى ندرت.

أذكر محادثتنا الأخيرة كانت في الثانوية، كنا حينها نتجادل سويًّا حول الجامعات ومنذ ذلك الحين انقطع بيننا الاتصال بسبب النزاعات التي زادت بين البلدين حينها تغير كل شيء ولم تعد الأمور كسابق عهدها، فقد سمعت ذات مرة أنهم ضموا جميع الشباب للجيش، تمنيت حينها ألا أراه أمامي مطلقًا.... كم تمنيت ألا نتواجه بعد أن أصبحت جنديًّا في جيش عدوه ولكن القدر لم يهبني أمنيتي.

منذ نعومة أظافرنا ونحن نحارب في صف واحد لتدور بنا الأيام وتضعنا في مواجهة بعضنا البعض، كنت أرى تلك الحرب أسوأ ما حدث لي على إلاطلاق وها أنا أمام الأسوأ وهو أن يدفعني الواجب نحو سفك دمائي بيدي.... كيف؟!

أراه الآن أمامي والواجب الوطني خلفي يدفعني للثأر والدفاع عنه، الآن أقف حائرًا مسلوب الإرادة بين واجبي نحو

وطن أعطاني الكثير دون أن يبخل علي في شيء.. أموال... ورعاية صحية.... وتقدير لذاتي... وعلم.. ومستقبل... وحياة جيدة... وجنسية أحملها لأصبح واحدًا من أبنائه، وبين ذكريات جميلة.. وأهل.... ووطني الأصلي الذي منحني دفء العائلة الذي أفتقده في وطني الجديد.

الآن صار نزاعي بداخلي ينهشني.... ذكريات حديثة وأخرى قديمة وكلتاهما تحمل السعادة... بات لي أهل هنا وهناك... ووطن هنا وهناك.... ولغة هنا وهناك... أيهم سيربح في النهاية؟

كانت الحرب بداخلي أصعب من رصاصته التي ستثقب رأسي... ظللت أنازع وأنازع..... أنازع فكرة أنه عدوي الآن ولم نعد في صف واحد، ومن واجبي الحتمي لوطني أن أقضي عليه بطلقاتي قبل أن يفعل هو ولكن.... كيف؟

لم أستطع أن أشرع سلاحي بوجهه... فكيف أجرؤ على أن يُقتل على يدي ويزف إلى والدته خبر مقتله على يد ابن عمه الذي بات واحدًا من الأعداء الآن بعد أن انضم لصفوفهم؟!

خبر كهذا سيشق صدرها نصفين، وهي كانت بالنسبة لي بمنزلة والدتي الثانية لم تفرقني عن وليدها الوحيد قط.... وها قد جاءت الحرب لتفرقها عن وحيدها، هل أرسل شكري وعرفاني بالجميل لها بهذا السوء؟!! أن أقتل ابنها وأتركه هنا

ممزق الأشلاء حتى إنها لن تحظى بجثمانه أو بقبر يحتضنه يكون لها مزارًا من حين لآخر.

وبينما أنا أجاهد أفكاري وذكرياتي اخترق واحد من أفراد جيشي لقاءنا، فاضطررت لرفع سلاحي فجأة في الهواء وإطلاق طلقات وأنا أصرخ بوجه مروان:

_ إهراااااااب.

بلغته التي لا يفهمها سوانا فما زلت أخبئها بين ضلوعي، حينها استدار مروان وركض إلى أن اختفى وسط الدخان لأجد الآخر يصرخ غاضبًا بلغتي الأخرى:

_خائن...!

وهو يوجه فوهة سلاحه نحوي مطلقًا رصاصة اخترقت صدري في لمح البصر فسقطت على ركبتي من شدة الألم أتأوه..... لمحته يقترب مني وابتسامة الظفر تعلو شفتيه، فقلت له وأنا ألتقط أنفاسي الأخيرة:

_كنت أعلم من نظراتك أنك ترغب في قتلي أكثر من العدو لاختلاف جذورنا..... والتي ما زلت تكن لها البغض في قلبك.

*****

بذرة تفاح

سافرا سويًّا بحثًا عن عمل في أحد البلاد الغريبة بعد أن ضاقت عليهما الدنيا في أراضيهما وجفت ينابيع الرزق فقررا البحث عن فقيدهما في بلد آخر، سافرا وهما لا يملكان سوى نفسيهما وملابسهما المهترئة التي تحمل رقعًا بغرز الشقاء.

عملا معًا كحارسين في إحدى الحدائق مقابل وجبة تسد فوهة الجوع وتبقيهما على قيد الحياة وكذلك السماح لهما بالنوم في الحديقة... فلم يجدا أمامهما بديلًا سوى القبول مؤقتًا به لحين ظهور الأفضل.

وفي يوم ما مر عليهما رجل مسن يرتدي جلبابًا أبيض على عكس زوار الحديقة المتأنقين دومًا بأزياء حديثة من السراويل والقمصان وكان يحمل على كتفه حقيبة قماشية، وقف أمامهما وأدخل يده في الحقيبة وأخرج منها ثمرتين من التفاح ومال على عاصي وناوله الثمرتين وهو يشير له جهة صالح، ففهم عاصي حينها أن الثمرتين واحدة له والأخرى لصالح... ركض إلى صالح ووقف أمامه ثم نظر إلى الثمرتين بين يديه فوجد واحدة طازجة لامعة بالحمرة والأخرى حمرتها منطفئة وقشرتها مجعدة يبدو عليها أنها مرت بأيام كثيرة من التجاهل

دون أن يهتم بها أحد، فضم قبضته على الطازجة ودسها وألقى الأخرى لصالح.... فالتقطها صالح وهز رأسه للرجل وابتسم في شكر فبادله الرجل التحية ببسمة طيبة وغادر.

التهم عاصي ثمرته في ثوان معدودة أما صالح فكان يأكلها بكل حواسه متنعمًا في مذاقها... يذوب في كل قضمة معها فهو بالكاد تمر عليه لحظات كهذه حتى إنه ظن بأن جوفه اعتاد مذاق المرار وفقد الحلو إلى الأبد.

ألقى عاصي بقاياه على جنب دون اهتمام وتمنى أن يمر الرجل مرة أخرى ليغدق عليه بالمزيد، أما صالح فأنهى ثمرته وأخرج من بقاياه البذور البنية ثم نهض وذهب نحو ركن يخلو من الأشجار وحفر في الأرض حفرة ووضع بداخلها البذور.

مرت الأيام تباعًا كان صالح في كل يوم يذهب ليسقي بذوره ويعتني بها حتى أصبحت هي شغله الشاغل في يومه، أما عاصي فيلهو في يومه بين العمل والسخرية بصالح وبذوره.... ومع مرور الأيام أنبتت شجرة صالح وبدأت في النمو والازدهار برعاية صالح لها ومعها تنمو سعادة صالح البالغة بها فأطلق عليها اسمه لتصبح جزءًا منه.

أثمرت الشجرة وأثمرت معها حياة صالح بالخير، وانبهر بثمارها كل من ذاقها حتى اشتهر بثماره الطازجة التي كان يبيعها وذاع صيته بين الناس وأحبه الكثير لطيب ثماره، حتى

إنهم كانوا يأتون من كل حدب وصوب له ليحصلوا على ثماره الشهية.

مر الوقت وأصبح يملك بدل الشجرة أشجارًا وبدل الحديقة حدائق، ولم ينس قط فضل الرجل الذي أهداه الثمرة ذلك اليوم بل كان يذكره دومًا بالدعاء بالخير.

أما عاصي فكان يراقبه من بعيد ساخرًا حتى تحولت تلك السخرية إلى حقد دفين فهو ما زال عاملًا في الحديقة وصديقه أصبح يملك حدائق وتجارة بثمارها.

وفي يومٍ ما مر على صديقه صالح وطلب منه واحدة من ثماره الطيبة فلم يخجله صالح وأعطاه واحدة... على الفور التهمها عاصي في لحظتها ثم ألقى فضلاته على الأرض وغادر... في المرة التالية فعل نفس فعلته ولكن في تلك المرة مال صالح على الأرض والتقط بقايا عاصي وأخرج منها البذور ووضعها في كف عاصي الذي كان ينظر له في تعجب وقال له:

_ ازرعها.... لتجني ثمارها.

لم يعبأ عاصي بكلمته وألقي البذور أمامه أرضًا وغادر رافضًا النصح من صالح والتي لم يجدها سوى غطرسة وسخرية منه، وعلى الرغم من أنه في أمس الحاجة لتلك النصيحة لم

يهتم فهو ما زال يعمل في الحديقة العامة ويقتات على بعض الفتات حتى إن حصة الفتات أصبحت أقل بعدما تزوج وأنجب ولكنه فضل المكابرة وأخذ السهل دون أي مجهود.

في المرة الثالثة رفض صالح أن يعطيه الثمرة المجانية لأنه لم يقدرها يومًا وكذلك النصح لم يعبأ أبدًا به.... حينها ضجر عاصي وصاح في وجهه ونعته بالوغد ناكر الجميل المتكبر، وجاب في الأرض شمالها وجنوبها شرقها وغربها حانقًا غاضبًا كارهًا... يشكو للناس شكواه من صديقه الجاحد الذي بخل عليه بثمرة وقد تناسى كل جميل بينهما.

نعى الأيام الجميلة والخير الذي كان يملؤ الناس في الماضي وهو يتعجب من زمانه الحالي حين يتحول الجيدون إلى خبثاء ويبخلون بالخير بعد أن تُفتح لهم أبواب الخير.

وصلت شكواه إلى صالح على أفواه بعض زبائنه متعجبين وغير مصدقين آذانهم هل هذا صالح الذي عرفوه بالخير والسمعة الطيبة لأعوام ليست قليلة؟!

تملكه في ذلك الوقت الشعور بالسخط من صديقه الوحيد ولكن شعور الأسى على عاصي استحوذ عليه ولم يملك سوى أن أخبرهم أنه مجرد سوء تفاهم بينهما وسيحاول حله في أسرع وقت.

وفي إحدى أمسيات موسم الحصاد أرسل صالح إلى منزل

صديقه سلة ممتلئة بالتفاح الطازج وكتب على ورقة دسها بين التفاح في السلة

" من أجل الفضليات بيننا "

طرق الرسول على باب منزل عاصي ووضع السلة أمام الباب وغادر كما أوصاه صالح... فتح بعدها عاصي الباب فلم يلقَ الطارق التفت يمينًا ويسارًا ولكنه لم يجد أحدًا... شرع في غلق الباب متعجبًا ولكنه لمح سلة موضوعة على الأرض فاقترب منها فوجدها مليئة بثمار التفاح.... تكهن بصاحبها ولكن الورقة الموجودة في السلة خطفت انتباهه فالتقطها وقرأ جملة صديقه. وما إن قرأها حتى تجهم وجهه وركل السلة في غضب فتناثرت الثمرات ثم قذف بالورقة أرضًا وهو يقول:

_ الفضليات التي نكرتها يا ناكر الجميل.

ثم عاد للداخل وصك الباب خلفه.

*****

بين الافتراض والوجود

أرسل لها رسالته تعقيبًا على رسالتها الواردة للتو:

_ألف مبروك... ربنا يسعدك.

كتبها بأنامل باردة خاوية من الشعور تفتقر لأقل درجات السعادة.... وتمنى لها سعادة لم يذقها سوى في البدايات فقط... وما أن انخرط في خضم العلاقة حتى شقت الثعابين جحورها وخرجت تنسل بين أضواء العلاقة الخافتة. نهض والخزلان يأكل أكتافه... وانحناء ظهره برز أكثر كأن الأحمال زادت عليه، ورغم اعتياده على مثل تلك الرسائل إلا أن الشعور بالأسى والإحباط يكون دومًا في أوجه كأول مرة.

وبينما كان ينتقل من مكتبه إلى فراشه في الركن الآخر استوقفته مرآته المنطفئة، وقف أمامها متأملًا هيئته وهو يبحث عن عيبه الدميم الذي ينفر الفتيات منه.

سبع فتيات فررن منه وختم رسائلهن جميعًا بنفس المباركة.

ترى ما هو العيب المفزع؟!

لمح سرب الشيب الذي اجتاح سواد شعره وهبط لمنابت

لحيته فتذكر أيامه وأعوامه تباعًا.... عشرة أعوام تخللتها سبع فتيات عاش معهن سبع قصص حب رومانسية، بنى مع كل واحدة عشًّا بأحلام وأمنيات ليأتي طير آخر يسكنه مع حبيبته.

علاقته الأخيرة استمرت لمدة عامين ونصف وكانت أطول مدة عاشها بقصة حب، عرفها كالباقيات من الفيس بوك ولكن الاختلاف في تلك المرة كان كامنًا في اختلاف دولتها... أقصى اختلاف واجهه مع الباقيات أن إحداهن كانت من محافظة أخرى. ولكن تلك المرة اختلفت الدولة بأكملها.

وفي الحقيقة رد فعله لم يتغير مع الفتاتين. ظل يواعدهما على أمل للقاء قريب لم ينفذه مع فتاة من قبل.... فلم يتخط ظهوره لهن سوى بضع صور ومحادثات فيديو.

انتظرن كثيرًا خطواته التالية ولقاءه ولكنه لم يفعل... وحينها خرجت أصواتهن من حناجر الخجل تطالب بالجدية في العلاقة وتنفيذ الوعود وعلى رأسها المقابلة في عالمهن الحقيقي وليس الافتراضي، فيصب حينها الحجج والأعذار فوق رؤوسهن إلى أن يصلن إلى السأم وفقدان الأمل ليجدن الفتور والملل يدقان أبواب العلاقة فيفتحن لهما باستسلام.

نظر إلى علامات العجز البادية على وجهه وتذكر عدد السنين التي مر بها، يبدو أنه شارف على إنهاء عقده الرابع وما زال وحيدًا، كم من أعوام أهدرها وراء الشاشات دون خطوة

واحدة، وتساءل متعجبًا:

_لماذا يذهبن ويتركنني في الخلف وحيدًا ملقى على قارعة طريق أجهل وجهته ليذهبن وينعمن بحياتهن... ترى هل يجدن الآن المتعة ويرقصن على رفات حبنا؟

حينها أجابه انعكاسه الوقح في المرآة قائلًا:

عشر سنين وسبع علاقات وتجهل ما عيبك؟!.... تجدهُن يهدرن وقتك الثمين ويدعسن حبك النابض وترى نفسك دومًا المجني عليك؟

أنت من جنيت عليهن وعلى نفسك.... نعم أنت جنيت على نفسك وسجنتها في صندوق من الشاشات ورفضت خروجها للواقع أتدري لماذا؟

لأنك جبان وعديم المسؤولية، تتهرب منها كلما واجهتها في مكان ما... تريد أن تعيش المتعة دون أن تدفع لها مقابلا.

ولكن هن يريدن حياة حقيقية مع رجل حقيقي يسكن بيتًا حقيقيًا ويبني أحلامه على أرض حقيقية... وليس كعالمك الافتراضي المزيف الذي تختبئ وراءه.

هل عرفت الآن ما هو عيبك الدميم؟!

*****

صرخة مناعة

تكوم في ركن غرفته المعزولة شاحب الوجه، هزيلًا، ملابسه رثة.... يلهث بأنفاس متقطعة كجندي يحارب وحيدًا جيشًا بأكمله.

سقطت من عينه الذابلة المحاطة بهالة سوداء دمعة بائسة تجري على وجنتيه اللتين شققتهما التجاعيد ورسمت على لوحتهما مخططًا.

خرج صوته المبحوح يجرجر الكلمات على طرف لسانه بصعوبة:

_ يحاولون استبعادي دومًا والتخلص مني، لماذا وأنا الذي خلقت من أجلهم؟!

خلقت لإنقاذهم ومساعدتهم على النجاة، فأصبحت الآن آخر همهم..... تمنيت تقديرًا يليق بي ولم أجد سوى الإهمال ونكران الجميل، أصبحت غايتهم الأولى الآن النجاة في أسرع وقت دون أن يلتفت إليّ أحدهم بعين الرحمة.

الآن باتت مساعداتي غير مجدية أم أنكم تفتقرون للصبر؟!

تهرعون خلف المساعدات الخارجية كأنها ترياق النجاة على الرغم من أنكم تدركون جيدًا أنها تثبط من عزيمتى وتضعف قواي... والآن بفضلكم أصبحت ضعيفًا مهزومًا من أدنى جرثومة أواجهها.

انظر إلى نفسك هل أنت راضٍ عن ذاتك الآن وأنت لا تقوى على الحراك وتفقد سبل نجاتك بتهورك؟!

موتي يعني موتك يا أبله؛ فأنا سلاحك الفتاك ودفاعك الوحيد، لولا وجودي لما نجوت حتى في الدقائق الأولى لك من غزو الأعداء الذي يحيط بك في كل شبر وكل ذرة هواء تتنفسها.

أخبرتني في بداية الأمر أنك ستلجأ للمساعدات الخارجية حتى لا ترهقني في حروب أخوضها بمفردي بأسلحة قديمة لا تناسب عدوي الفتاك ثم ربتَّ على كتفي وأظهرت خوفك علي، الآن أصبح لجوؤك لهم عادة استوطنت عالمك بل أصبحت لا تراني كلما ألم بك المرض وطرحك في الفراش فتلجأ لها كأنها ملاذك الآمن والوحيد.

أين أنا من كل هذا؟! أنا أول من يدخل حروبك ويناضل بكل عزيمة بها... أطور من أسلحتي في كل حرب حتى أظفر بحياتك

ولكن في النهاية يذهب كل تعبي هباءً وتتسلم المساعدات

الخارجية الكأس بدلًا مني ويتوج الانتصار باسمها.

لم أنكر يومًا مساعدتها لي في أشد الأوقات، ولكن اليوم أشعر بالإحباط الشديد، لم تعد تراني سلاحك الفتاك كما اعتدت ولكن ما زلت تحتاج مساعدتي شئت أم أبيت، فكوني على قيد الحياة ما يبقيك أنت أيضا على قيد الحياة.

ماذا لو أعرتني بعض اهتمامك وحقنتني ببعض المحفزات؟

ماذا لو تحليت ببعض الصبر ولم تتعجل، ربما حينها كنت سآتيك بالنصر؟

ماذا لو أنفقت علي بعض أموال المساعدات الخارجية لأحسن من أسلحتي؟

جزعك هو من قادنا للهاوية، وتذكر ثقتك بي هي فقط التي ستساعدني على أن أرسو بك على بر الأمان دون أن تتعطل سفينتك

وأني الوحيد من ينقب عن نجاتك، فلا تستهِنْ بي.

*****

قفص العنكبوت

دخل المنزل متحمسًا يحمل بين يديه قفصًا مغطى بقطعة قماشية سوداء تخفي محتوى القفص، فاجتمع حوله الأولاد مهللين لا يقلون عنه حماسة يتساءلون في فضول يطغى على تفكيرهم: ما الذي يحمله في هذا القفص؟

لكنه رفض البوح بسره إلا بحضور زوجته. فنادى عليها لتطل عليه من المطبخ وبيدها مغرفة وهي تقول:

_ أيوا أنا جايا أهو.

_ تعالي بسرعة هوريكي حاجة.

فحضرت على الفور وعينها على القفص، فرفع الغطاء على الفور تلبية لنداء فضولهم، لتجد أسفله عنكبوتًا ضخمًا متعدد الألوان حجمه كبير يملؤ القفص.

انبهرت به حين وجدته أمامها، بعد أن أمسى حديثًا على جميع الألسنة في الآونة الأخيرة حتى إن اقتناءه أصبح شيئًا أساسيًا بعد أن ملأ بيوت الجميع كغزو من أسراب العناكب منذ أعوام ليست قليلة.

وها هو الآن أمامها فقد حان دورها لتراه.

تفحصت أرجله الثمانية ونظرت صوب عيونه في اندهاش فنهرها محذرًا

_بلاش تبصي في عينه علشان الإشعاع وعينك ماتتأثرش وتضعف منه.

هزت رأسها إيجابًا في طاعة.... اقترب منه وهو يستعرض لها قدراته البهلوانية في التعامل معه وهو يأمره:

_تعال.

فتحرك العنكبوت نحو جهته.

_ ارجع ورا.

فيعود للخلف.

زادت سعادة الأولاد بوالدهم ولمح في عين زوجته انبهارًا لا يصدق ضخ في أوردته الشعور بالثقة بالنفس والتفوق عليها.

كان يحاول ترويضه كحيوان أليف. وحين حاولت هي تقليده واقتربت منه حذرها في غضب فتراجعت على الفور.

كان يخشى أن تنخر حصن الأمان لديه في كونه المتفوق والذكي والناجح والذكر الذي لا يقهر وآخرهم كانت الأهم

لديه، فهو ليس الذكر الذي تلتهمه بعد التزاوج ولن تستطيع.

كان يحب دومًا أن يبرز لها نقاط قوته لتخضع له في رهبة.

خوفه من ذكائها الدائم وتفوقها عليه كان كابوسًا يراوده دومًا فيضطره إلى قتل أي منفذ قوة تصل إليه حتى لو كانت معلومة جديدة لا يعرفها.

أحبها جاهلة غبية فاشلة مستسلمة وتابعة فقط لتحتاج دومًا له وبذلك يحقق كينونته.

ولهذا أحضر لها العنكبوت اليوم ليتباهى أمامها بقدرته العظيمة على ترويضه دون أن يحق لها المساس به..... هي فقط تسمع نصائحه وتنفذها بعقل مغيب تبتعد حين يأمر وتقترب حين يأمر ،لتصبح الساحة بأكملها له يفعل بها ما يشاء دون تهديد.... أما هي فمن الأفضل لها أن تظل أُمية محبوسة في قفصها تحت طوعه وأوامره.

*****

هل تقبلين بي سجانك؟

الساعة الحادية عشرة صباحًا

قاد محمود سيارته متجهًا إلى أحد الكافيهات في المعادي يدعى " فرفشة" للقاء سها التي تملصت من محاضرات اليوم للقائه متعللة لصديقتها بظرف طارئ في المنزل دون أن تذكره، ولكن صديقتها المقربة أسماء كانت تعي جيدًا كذبتها، وكيف لا؟! وصديقتها لم تتغلب على عادة قضم الأظافر وهي تكذب.

جلست سها في الكافيه تنتظر "محمود" في الموعد الذي حدده هو بنفسه دون أن يعبأ بيومها الدراسي فقط ليثبت لنفسه طاعتها له تحت أي ظرف، ولكنه تأخر عليها فقررت بعد تردد أن ترسل له رسالة حتى لا تزعجه باتصالاتها فقد حذرها من قبل بأنه يكره الإلحاح في اتصالاتها، فهو مشغول كثيرًا رغم كونه عاطلًا.

انتظرت رده فلم يجبها، فاضطرت تنتظر قليلًا وتتحمل ضيق الانتظار ثم تعاود الكرة مرة أخرى.

بينما محمود يقود سيارته على هوادة منسجمًا مع أغاني الراديو، شعر بهاتفه يرتعش على المقعد المجاور، فالتقطه ونظر إلى شاشته فوجد اسم دارين.... كانت فتاة من ضمن قائمته التي لا تنتهي.

فما هي إلا نزوة قرر فجأة أن ينفصل عنها بعد أن سئم منها، ولكنها ما زالت تلاحقه.

الساعة الحادية عشر ة والنصف

هاتفة لا يزال يرتعش بتلك الفتاة دون أن تكل، في تلك الأثناء قررت سها أن تتجرأ وتهاتفه فوجدته مشغولًا.

إذا كان هاتفه معه، فلماذا تجاهل رسالتها؟

فلم تجد سوى أن تقنع نفسها بانشغاله الدائم وأنها على استعداد أن تنتظره العمر بأكمله.

وصل محمود بعد مرور ساعة بأكملها على موعده المحدد وصفَّ سيارته ثم دخل الكافيه مرتديًا نظارة شمسية سوداء أخفى بها مراقبته لأرداف إحداهن والتي ترتدي سروالًا من الجينز الضيق، ازدرد ريقه بعدها ليهدئ شعلته وأكمل ليجد سها جالسة في أحد الأركان على منضدة منعزلة فارغة في انتظاره.

تهلل وجهها حين لمحته يقترب وقلبها يرقص فرحًا ككل

مرة تراه فيها.

جلس في مواجهتها على المنضدة وخلع نظارته... وجهه خالٍ من أي تعبير أما هي فابتسامتها تسع العالم بأكمله، نظر إلى يدها الموضوعة على المنضدة وقد لمح القفازات السوداء التي ترتديها بطلب سابق منه متعلل لها بأنه يحاول أن يكبح فرسه الثائر، فهو لا يرغب في لمسها إلا في الحلال.

حينها لم تملك سوى الطاعة وارتدته على الفور لإرضائه.

قال بصوت يذيب فؤادها:

_إزيك؟

بخجل أجابت:

_ الحمد لله.... وأنت؟

فابتسم واقترب من وجهها قليلًا وهو يقول:

-لما شوفتك بقيت كويس، أنا مبسوط منك إنك سمعتي الكلام ولبستي الجوانتي زي ما طلبت..... بحب البنت المطيعة.

توردت وجنتاها أكثر وهي تقول:

_ أنا مستعدة أعمل أي حاجة إنت عايزها، بس المهم نبقى مع بعض.

ثم عقدت حاجبها وسألته:

_ إنت لقيت شغل ولا لسه؟

_ لسا شويه بس هانت والدي هيكلم معارفه وإن شاء الله خير.

_ أنا مستنية بفارغ الصبر إنك تشتغل علشان تيجي تتقدم لبابا.

_ ماتقلقيش قريب إن شاء الله، ثم أشار للويتر فحضر يحمل دفترًا وقلمًا وقال جملته المحفوظة:

_ حضرتك تطلب إيه؟

_ عصير مانجه.

_ والآنسة؟

نظرت له سها في تردد شفتيها ترتجف هل تجيبه أم لا؟ إذا رفعت عينها وأجابته سيغضب محمود. فتوجهت نحو الخيار الأمثل وصمتت رغم تكرار سؤال الويتر حتى ظن أنها صماء فعاجل محمود بالإجابة وهو يقول:

_ عصير مانجه بردو.

لم يأخذ في اعتباره أنها تكره المانجو كما أخبرته من قبل ربما لأن لا أحد يكره المانجو بالنسبة له أو لأنه لم يكن يصغي

لها من الأساس.

فقط طلبه وهي حتمًا ستشربه بسرور متيقن أنها ستشرب السم إذا أراد فيكفيها فقط إرضاؤه.

غادر الويتر بضع دقائق مرت بينها في نظرات صامتة تلهب قلبها بنيرانه بعدها عاد بالعصير وقدمه لهما ثم غادر ليخدم آخرين.

_ بحبك.

قالها محمود بلين صهر قلبها في خشوع وخضوع وشعرت للتو بنبضاته وكأنه لم ينبض من قبل. ليصير الحب بعالمها مقترنًا به، لم يولد إلا بولادته، ومن ثم وهبها الحياة.

عرفت معنى العشق معه ولم تذق الغيرة إلا عليه، كانت تطيعه دون جدال فقط ليرضى عنها ويغدق عليها بعض الثناء الذي يعطي لحياتها معنى، فأصبحت الحياة تعني "محمود" وخسارته تعني الموت.

خطفها من نظرات الهيام وهو يقول في جدية:

-أنا عارف إنك بتحبيني زي ما أنا بحبك، بس أنا علشان أقبل بيكي زوجه عندي شوية شروط لازم تعرفيها.

فارتجف قلبها في هلع وشعرت بسهام التهديد تحيطها من كل جانب ولكنها ستدافع عن حبها مهما كلفها.

فاستطرد في حديثه:

-إنتي عارفة ده جواز مش صحوبية، يعني كل حاجة لازم تمشي صح من الأول.

فأجابته على الفور:

-أنا موافقة على أي شرط.

ما زال هاتفه يرتعش في جيب سرواله، يبدو أن دارين لن تستسلم، ولكنه لم يهتم ليدعها تذوق ألم صبره وتدفع ثمن عدم إطاعته.

ثم عاد لسها وهو يكمل:

_ لا لازم تسمعيها الأول وتفكري.. وبعدين تردي لأني بعد الجواز مافيش رجعة في الموضوع.

يبدو الوضع في غاية الخطورة ولكن كل ما استحوذ على تفكيرها الآن هو خوفها أن يسحب من تحت قدميها بساط الحب ويتركها تهوي على وجهها وتسحق، هل هذه ستكون نهاية الحب... بالتأكيد لن تدع شيئًا يسلب منها حبها.

فقالت بارتباك:

_إنت هتسيبني؟!، أنا مش هستحمل إنك تسيبني.

_أنا ماقولتش إني هسيبك.. بس قولت إن علشان نكمل

مع بعض عندي شوية شروط.

_ بس أنا موافقة.

_ بس لازم تسمعيها الأول، علشان لو وافقتي ورجعتي خالفتيها هتتحملي إنتي المسؤولية.

يبدو أن التهديد ما يزال يحاوطها.

_ طب إتفضل.

_ أولا لبسك لازم يتغير أنا مش هقبل إني مراتي حد يبصلها بصة ماتعجبنيش.

نظرت إلى لبسها بتعجب فهي ترتدي ما يطلبه وقد غيرت كامل خزانتها لإرضائه فقط فلم تعد تحتوي إلا على الواسع والفضفاض. ولكن كلمة مراتي أزالت أي تعجب وبعدها كأنها لم تسمع.

_ طب إنت عايزني ألبس إيه؟

_ نقاب.

_ حاضر.

للحب وجهان إما مُسَيْطِر أو مُسَيْطَر عليه وقد اختار سابقًا الدور الأول ولعبه بحرفية.

_ في حاجة تاني.

_إيه تاني؟!

_ باين عليكي مدايقة من طلباتي، ممكن ألغيها وكل واحد يروح لحاله لو حابة.

قالها بخبث لتذعن له أكثر وأكثر، فتكبره لا يسقى إلا بماء الانصياع والطاعة.

فقالت في ارتياع:

_ لا أبدًا والله، بس متقولش كدا تاني الله يخليك... أنا مش هقدر أعيش لو سيبتني.

_ تمام مش هقول.... أكمل بقى شروطي؟

فهزت رأسها إيجابًا.

ليكمل هو:

_الصور اللي إنتي بتنزليها على الفيس بوك والانستجرام والواتس اب دي أنا رافضها، وبعدين أنتي إزاي تسمحي لأخوكي إنه يحضنك ويتصور معاكي بالشكل ده؟!... معلش أنا بغير عليكي ومش هقبل حاجة زي دي، لازم تعاملك مع إخواتك الصبيان يبقى فيه حذر أكتر من كده.

_ حاضر.

_ ولبسك قدامهم كمان يبقى محتشم وواسع وبطرحة.

_ حاضر.

_ وتمسحي كل الصور، وكمان عايز كل الباسوورد بتاعك علشان لازم أعرف كل حاجة عنك ولا إنتي بتخبي عليا حاجات؟

_ لا أبدًا والله أنا بقولك كل حاجة وهثبتلك وهديك كل الباسوورد علشان تتأكد.

_ حاجة أخيرة البنات اللي انتي مصحباهم تنفصلي عنهم وخصوصًا أسماء... البنت دي أنا مش برتحلها.

_ مش بترتحلها إزاى؟.... هي عملت حاجة دايقتك؟

_ مش بشكل مباشر بس شكلها كده بتغيير منك وكمان دايمًا بتبصلي نظرات غريبة وشكلها عينها عليا وأنا منفضلها خالص.

كان يجب أن يتخلص من تلك الفتاة بأي شكل ويبدأ بالهجوم قبل أن تكشف حقيقته وتسلبه فرائسه بعد أن عرف أنها صديقة دارين أيضا ولا بد أن دارين أخبرتها بكل شيء وبطلبه بالزواج العرفي.... كم كان يبغضها بعد أن رفضت عروضه الوهمية ليوقعها في شباكه، ذكاؤها هو من أنقذها من براثنه، ولكنه لن يدعها تخرب مخططاته وتسلبه باقي

الفرائس، ربما هي أيضًا من خربت علاقته مع دارين وأخبرتها بأن تنفصل عنه ولكن ها هي الفريسة تعود لصائدها مرة أخرى وتلح ليلتهمها.

تذكرت حينها سها تحذيرات أسماء لها عندما علمت بشأن تلك العلاقة وأخبرتها بضرورة الابتعاد عنه ربما لأنها ترغب هي به،كلماته أشعلت ألسنة الغضب بها وتوجب عليها الآن طاعته بأن تنفصل عنها فلا أحد يخشى عليها الآن كما يفعل هو.

فقالت له:

_ أنا فعلًا بقيت مش بستريح لها ولازم أنهي الصداقة دي.

الامتلاك يعني عزلها عن العالم الخارجي لتصبح أنت العين التي ترى بها والأذن التي تسمع بها والفم الذي يتحدث بصوتها، ليتوحد عالمها بأكملة مع عالمك ولا تجد سواك لتنصاع له طواعية.

انتهى اللقاء على وعد بلقاء آخر بينهما وتنفيذ لكل الأوامر التي أمر بها مقابل مكسبها في أن تصبح نصفه الآخر كما كانت تراه توأم روحها.

صعدت سها إلى التاكسي تنوي الذهاب إلى أحد محلات

ملابس المحجبات لتبتاع منه نقابًا لتنفذ أولى شروطه، وفي أثناء طريقها اتصلت بها أسماء لتتطمئن عليها فلم تجبها فعاودت الاتصال مرة أخرى فأجابت حينها سها بتأفف وقالت:

_ ممكن ماتتصليش بيا تاني..... لأني حقيقي مش عايزه أعرفك.

ثم أنهت المكالمة دون أن تسمع من صديقتها كلمة واحدة.

نظرت حينها أسماء إلى دارين بتعجب:

_ شكله كده بدأ الحرب... بس أنا مش هسيبه..... رني عليه ماتسبهوش لازم الموضوع دا يخلص بكرة بالكتير.

كررت دارين اتصالها به دون انقطاع، وأخيرًا أجاب بضيق:

_ ألو .

_ أيوا يا محمود إنت مش بترد عليا ليه؟

_ نعم.. مش إنتي اللي قررتي الانفصال بعد ما جرحتيني وشكيتي فيا وقولتي إني بلعب بيكي.... أنا مش عارف مين اللي ملا دماغك بالكلام ده؟! يلا اشربي بقى.

_أنا آسفة إني شكيت فيك، أنا لسا بحبك وعايزه نرجع لبعض تاني.

_ أنا قولتلك إللي عندي وحكيتلك ظروفي وإني مش هعرف أتجوزك رسمي دلوقتي لحد ما ألاقي شغل... وحقيقي أنا لسا بحبك بس إنتي بتصعبي عليا الأمور.

_ طب خلاص أنا موافقة على طلبك بس محتاجة أشوفك أوي ممكن تقابلني بكرة الساعة ٧ في كافيه " فرفشة ".

_ تمام بكرة هكون عندك بس على اتفاقنا إنك وافقتي.

_ أكيد.

أنهت دارين المحادثة ونظرت لأسماء بانتصار ليبدأ دور أسماء الآن مع سها.

في اليوم التالي أرسلت أسماء لسها رسالة بضرورة المقابلة ولكنها لم تجبها فقررت الاتصال إلى أن أجابت سها:

_ نعم عايزه إيه؟

_ عايزه أعرف إيه اللي حصل؟!

_ محصلش حاجة أنا مش عايزه أعرفك تاني.

_طب ممكن أعرف ليه؟

_ من غير سبب، هو كده.

_ طب ممكن أشوفك يمكن نعرف نتكلم سوا؟

_ لا.

_ بلييز يا سها واعتبريها آخر مرة تشوفيني فيها.

سكتت سها لبرهة ثم أجابت:

_ اوك ماشي.... فين؟

_ في كافيه " فرفشة " الساعة ٧ونص.

شعرت سها بأنها تورطت للتو في كارثة مع محمود، فكيف ستخبره بخروجها لمقابلة أسماء الآن.

أرسلت له في كذبة لم تملك سواها أنها ستخرج اليوم مع عائلتها لزيارة عمتها المريضة، ليخبرها هو الآخر بأنه سيصطحب والدته اليوم إلى الطبيب الساعة السابعة.

خرجت سها بالنقاب لأول مرة بين ضجر عائلتها بقرارها المفاجئ الذي أتى دون أي مقدمات، ولكن في النهاية قبلوا به رغمًا عنهم.

ذهبت لأسماء التي كانت تنتظرها أمام الكافية بعد أن تأكدت بلقاء دارين ومحمود بالداخل، صعقتها الصدمة حين رأتها بالنقاب وهي تكذب عينها يبدو أن سحره بدأ في التمكن

من صديقتها.

في تلك الأثناء أخرج محمود من جيبه ورقتين تحملان صيغة الزواج العرفي بعد أن اتفق مع دارين وهو يطلب منها أن توقعها حينها كانت أسماء وسها في طريقهما للداخل.

رأته سها يجلس مع دارين التي تعرفها سابقًا بأنها صديقة أسماء لا أكثر، ماذا يفعل هنا؟ هل هذا موعد والدته مع الطبيبة؟!

جرت نحوهما ودون أن يشعر بها محمود ودارين تراها وهي تتظاهر بإمضاء الورقة.. فخطفت سها الورقة من تحت يدها فيفاجئ بها محمود أمامه مع أسماء بابتسامة الظفر فتصرخ سها في وجهه:

_ هو ده معادك مع مامتك عند الدكتور.... وإنت جاي تتجوز عرفي.

فالتفت الجميع نحوه على صرخاته وهن ينظرن له باحتقار ، ودارين تمزق الأوراق أمامه وتلقيها عليه ليفاجأ بصفعة أسماء على وجهه وبصقة سها تعقبها ثم يغادرن ليتركنه خاسرًا جميع فرائسه.

*****

قطة مغمضة

كم كان يراوده ذلك الحلم لأعوام كثيرة وهو يلتهم أفكاره يوميًّا ويزاحمه في كل لحظاته، إلا أن والده وقف حائلًا بينه وبين تنفيذه.

حين ذهب إليه وائل وأخبره برغبته في اقتناء قطة في المنزل أجابه والده بأنه لا يمكن أن يحقق له هذه الرغبة فهو بشكل مختصر " لن يستطع تحمل نفقة روح أخرى"

ولكن يمكن أن يحققه بعد أن ينهي دراسته الجامعية ويحصل على حياة تخصه من وظيفة ومنزل.

وها هو وائل يسير نحو حلمه بخطًى واثقة.

اليوم أمسك بيده أول راتب له من وظيفته صيدليًّا في أول شهر له في العمل وعاد إلى منزله وهو في غاية السعادة. وكعادته استوقفه محل الحيوانات الأليفة الموجود أسفل بنايته التي يقطن بها... كانت رغبته تستعر في كل لحظة يمر بها أمام هذا المحل وصوتها المُلّح المزعج يدوي بأذنه.

اختلس نظرة إلى الأقفاص الموضوع بها القطط فلاحظ أن هناك وجوهًا جديدة لم يرها من قبل، فيبدو أن الأخريات

وجدن بيوتا دافئة تحتويهن.

تسلل نحو أحد الأقفاص وهو يراقب قطة صغيرة شيرازية بشعر كثيف مبهر فشعر البائع باهتمامة بالقطط فهم إليه يعرض عليه المساعدة، فسأله وائل عن سعرها فأجابه البائع بسعرها الثمين.

تذكر قيمة راتبه الصغير ليعلم بأنه ما زال أمامه الكثير من الوقت في العمل ليس أقل من بضعة أشهر ليكمل ثمنها.

خرج من المحل ببعض الإحباط وغادر لشقته الجديدة التي يستأجرها.

مرت شهور أخرى ووائل يسير نحو حلمه باستماتة، ويوفر كل ماله ليقتني قطته وهو يراقب المحل باستمرار ويسأل من حين لآخر على الثمن لعله يجد الأرخص.

وأخيرًا جمع وائل ثمن القطة ولكن في تلك المرة استوقفه صديقه وأخبره بأن ذلك المحل وبالرغم من جمال قططه إلا إنه باهظ الثمن كثيرًا، ونصحه بمحل آخر يديره رجل طيب السمعه لديه من القطط الكثير والأسعار ليست باهظة وسيكرمك إذا اشتريت منه فهو يبحث فقط عن شخص أهل ثقة يعطيه من قططه المغمضة ليربيها جيدًا على يده وينتفع بثوابها. ستأكل مما تأكل ولن تكلفك الكثير مثل قطط هذا المحل التي اعتادت على الدلع والرفاهية وأكلات بعينها لا

سواها.

فوافق وائل دون تردد على نصيحة صديقه على الفور وكان في غاية سعادته بعد شراء قطته الصغيرة مغمضة العينين من ذلك الرجل ليصحبها معه في منزله ويكون بذلك أخيرًا قد حقق حلمه.

كانت قطة رمادية اللون هادئة ومطيعة لا تعرف المشاكسة، حتى صوتها كان نادرًا ما يخرج، أغرم وائل بها وبكل طباعها الحسنة حتى إنه أخبر كل من يعرفه عن حسنها وحبها له ووفائها على عكس الكثير من القطط الغادرة، حدثهم عن هدوئها وأدبها وأنها ليست كباقي القطط الشقية التي يسمع عنها من حين لآخر.

كان يراها الحلم الذي طالما راوده وصبر كثيرًا ليحققه وها هو يتمثل أمامه في أجمل صورة ومجهوده لم يضع هباءً.

مرت الأيام على وائل وهي تحمل له الكثير من الخير في عمله ليمتلك بدلًا من الصيدلية الواحدة عدة أفرع وتنفتح أمامه أبواب الخير على مصراعيها، ويمتلك البناية التي كان يستأجر بها شقة ليصبح من أصحاب الأملاك والأموال، وأصبحت الأيام أعوامًا وكبر وائل ومعه قطته.

ولكن الأعوام لم تكن تحمل لها ما تحمله له... فمع مرور الأعوام ساءت علاقة وائل بقطته، وكأن كل يوم يمر يقطف

من زهرة اهتمامه ورقة حتى ذبلت حديقته.

في تلك الأثناء وعلاقته مع قطته تمر بمنحنى منحدر سيئ ممتلئ بالأحجار والنقر ؛ لمح قطة صغيرة في المحل الذي أصبح أسفل بنايته الآن لونها أبيض وعيناها زرقاوان خطفت أنظاره وهي تتمختر بدلال في قفصها فسمع صوته الداخلي يأمره باقتنائها لكنه تجاهله وغادر.

ولكن منذ ذلك الموقف وقد تغير كل شيء.... أصبحت مشاعر الغضب والكره والضيق تراوده كلما رأى قطته بجواره، سئم هدوءها الذي كان محمودًا منذ أعوام لتتحول كل مميزاتها التي كان يقصها على من حوله إلى عيوب يمقتها.

ترى هل كان يحبها بالفعل أم كانت رغبتة الملحة التي أراد تسكينها ببعض البروفين؟

أصبح لا يراها في حياته... كل شيء يفعله من أجلها تركه حتى باتت تبحث عن طعامها وشرابها كل يوم وتنتظر بقاياه لتأكلها، ما عاد يصغي لموائها بل كان يدفعها بعيدًا صارخًا كلما جلست بجواره.

كانت تجهل أسباب تغيُّره ولكنها لم تملك سوى الانصياع له، فلا ملجأ لها سواه بعد أن كبر سنها... فمن يرغب في اقتناء قطة مسنة الآن ليرعاها؟

أما وائل فلم تغب عن ذاكرته صورة القطة البيضاء الصغيرة، وتشتت تركيزه بها كلما رآها أمامه لتتولد بداخله الرغبة من جديد ويعلو صوته الداخلي مرة أخرى. كم هي جميلة وشقية وهي تسير بغنج يسرق الفؤاد ومواؤها يذيب القلب... فانصاع لرغبته دون مقاومة وتشجع وذهب ليسأل عن ثمنها، فأخبره الرجل بالثمن الذي أصابة بدهشة... بالطبع باهظة الثمن ولكن بشكل مبالغ فيه تلك المرة.

لم يدفع في قطته الأولى سدس ثمن هذه القطة ولكنه يراها تستحق... فقطة بهذا الجمال والدلال لا تقدر بثمن وبالتأكيد لن يبخل عليها بعد أن أصبح ثريًّا.... سيعطيها مهما كلفته من الأموال التي لم تعد تمثل له مشكلة الآن.

فيجب عليه أن يعوض أيام البؤس مع قطته الأولى، فدفع على الفور ثمنها وأخذها لتعوضه بجمالها عن كل ما حرمته منه الأيام.

كان الجذل يملؤ قلبه كأنه لم يسعد من قبل وهي تنظر له في دلال وتمنع وكأنها كثيرة عليه ويكفيه أنها قبلت بصحبته، ليلج بها من باب منزله وتتفاجأ قطته الأولى بوجودها فتصيبها الصدمة.

إلى تلك الدرجة أصبحت لا أعني لك شيئًا؟!

لتشتعل بعدها شرارة لا تنطفئ ويبدأ بينهما صراع على البقاء.

ولكن القديمة لم تستطع التغلب عليها فقد سلبتها الأيام قوتها فلم تقدر على مواجهة الصغيرة الشابة بطاقتها المتأججة.

فكيف تتأقلم معها والصغيرة ترفضها دومًا ولكن ما أصابها بالضربة القاضية هي عندما انقضت الصغيرة عليها وقامت بجرح وجهها ولم يبال وائل بها بل انحاز للصغرى. وبدلًا من اعتنائه بها وجدته يفتح لها الباب ويأمرها بالمغادرة فتخرج منكسة الرأس ذليله جرحها ينزف والأخرى تحتل فراشها بزهو بعد أن نالت انتصارها. ثم أغلق خلفها الباب لينعم بقطته الجديدة.

تمت بحمد الله

فهرس

الإهداء ٥
المقدمة ٧
عندما تدور الكؤوس ٩
حساء بنكهتها ١٥
مجرد شكوى ٢١
رسالة للمرحوم ١ ..... ٢٣
"الابن الأصغر" ٢٣
رسالة للمرحوم ٢ ..... ٢٩
"الابن الأكبر" ٢٩
حتشبسوت والغُراب الأسود ٣٤
رحم صخري ٤٣

معنا أم معهم..... ٥٠
بث مباشر ٥٣
شتاء ديسمبر..... ٧٤
المعرفة عين القبح ٨٠
خيبات أمل..... ٨٤
مزدوج الهوية..... ٨٩
بذرة تفاح ٩٤
بين الافتراض والوجود..... ٩٩
صرخة مناعة ١٠٢
قفص العنكبوت..... ١٠٥
هل تقبلين بي سجانك؟ ١٠٨
قطة مغمضة..... ١٢٢

للتواصل مع الكاتبة

https://www.facebook.com/Yousraelnoby